

جـامعـة الجنـان

طرابلس – لبنان

كليـة الآداب والعلـوم الإنسانية

قسم الدراسات العليا

الإستشراق الفرنسي والتراث العربي

«ماسينيون نموذجاً»

French Orientalism and Arab Heritage

"Massignon is a model"

رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي

إعداد الطالب

جاسم جميل محمد صالح القيسي

إشراف

الدكتور: شوقي عواد

العام الجامعي: 1442هـ– 2021 م

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا
نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟
فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ٦٤

القرآن الكريم سورة آل عمران، آية 64.

ملخص البحث باللغة العربية

سعى الطالب (جاسم جميل محمد صالح القيسي) من خلال هذه الدراسة الإستشراق الفرنسي والتراث العربي «ماسينيون نموذجاً»، إلى دراسة وتتبع شخصية تاريخية عريقة وهي شخصية " ماسينيون" المستشرق الفرنسي الذي يمكن اعتباره من أبرز المستشرقين على الصعيد الاستشراق الفرنسي والعالمي على حدّ سواء، فقد تطرق إلى مواضيع عربية وإسلامية قد وقعت في صلب التعاليم والعادات الإسلامية والحركات الباطنية وقد تناول شخصية الحلاج التي تتحد مع عالم الروحانيات وتجسد الزهد والورع الذي يدعوا إليه ماسينيون، على الرغم من حملة النقد التي طالت هذه الشخصية، فلا يمكن اعتبارها سوى شخصية قد مثلت على صعيد الاستشراق علامة فارقة لما اتسمت به من موضوعية ومنهجية علمية لم تتوفر عند الكثير من المستشرقين الآخرين.

وتطرق الباحث إلى الصعوبات التي واجهته في عملية التأريخ لهذه الشخصية المدروسة، والمشكلات التي اعترضته، مشيراً إلى التعارض بين المواقف التي أبداها أعلام المؤرخين العرب والمستشرقين حيال آراء وشخصية ماسينون محاولاً قدر الإمكان إجراء مقاربة علمية موضوعية لفهم هذه الشخصية، معتمداً على مصادر ومراجع جديدة، متناولاً مباحث لم يتم وخلصت الدراسة إلى نتائج أهمها:

1) أهمية المدرسة الفرنسية الاستشراقية، من خلال تناولها أهم الجوانب التراثية العربية والإسلامية.

2) التعرف على منهج أصحاب هذه المدرسة والذي يعد المستشرق الفرنسي ماسينيون من أبرز شخصياتها.

3) تسليط الضوء على حياة المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون، والظروف التي أثرت على تكوينه الفكري، وجهوده في تناول التراث العربي، سواء أكانت الدراسات التي اعتنى فيها بالإسلام والصوفية، أو الدراسات التي اعتنى فيها بتاريخ العرب وأدبهم.

4) تبيان موقف ماسينيون من اللغة العربية والإسلام، ورؤيته للواقع العربي وموقفه من التراث العربي المخطوط.

5) الكشف عن منهج ماسينيون في فهم معنى التصوف وتعريفه، ومنهجه في تأويل نصوص الحلاج.

6) حملات النقد لهذه الشخصية، وتخبط مواقفه بين الحين والآخر، مع الحفاظ على نظرته للزهد والتصوف ومقاربته بين الدين المسيحي والإسلامي.

Abstract:

The student (Jassim Jamil Muhammad Salih Al-Qaisi), through this study of French Orientalism and the Arab heritage “Massignon as a model”, sought to study and follow an ancient historical figure, the personality of “Massignon”, the French orientalist who can be considered one of the most prominent orientalists on the level of French and international Orientalism alike. He touched on Arab and Islamic topics that fell at the core of Islamic teachings, customs and esoteric movements, and he dealt with the character of Al-Hallaj, which unites with the world of spirituality and embodies the asceticism and piety that Massignon advocates, despite the criticism campaign that affected this character, it can only be considered a character that has been represented on The level of Orientalism is a distinguishing mark for its objectivity and scientific methodology that was not available to many other Orientalists.

The researcher touched on the difficulties he faced in the process of historiography of this studied character, and the problems he encountered, pointing to the contradiction between the positions expressed by Arab historians and orientalists regarding the views and personality of Massinon, trying as much as possible to conduct an objective scientific approach to understand this character, relying on new sources and references, addressing Investigations that have not been completed, and the study concluded with the most important results:

1) The importance of the French Oriental school, by addressing the most important aspects of Arab and Islamic heritage.
2) Getting acquainted with the curriculum of the owners of this school, of which the French orientalist Massignon is one of its most prominent figures.
3) Shedding light on the life of the French orientalist Louis Massignon, the circumstances that affected his intellectual formation, and his efforts in dealing with the Arab heritage, whether the studies in which he cared about Islam and Sufism, or the studies in which he cared about the history and literature of the Arabs.
4) Clarifying Massignon's position on the Arabic language and Islam, his vision of the Arab reality and his position on the Arabic manuscript heritage.
5) Revealing Massignon's approach to understanding the meaning and definition of Sufism, and his approach to interpreting Al-Hallaj's texts.
6) Criticism campaigns for this character, and his positions flounder from time to time, while maintaining his view of asceticism and mysticism and his approach between the Christian and Islamic religion

فهرس المحتويات

المقدمة:

الحمـد لله الـذي أشـرقت السـماء والأرض بنـور وجهـه، والصـلاة والسـلام علـى مـن لا نبي من بعده، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.. أما بعد:

لقد شـاع قديماً عنـد اللّاتـين المَثـل" النُـور يطلـع مـن الشَـرق"، ولـم يـزل الشـرق موطنـاً للـدّيانات السـماوية وغيـر السـماوية، ومهـد للحضـارات القديمـة، وأرض للحكمـاء والمعجـزات الخارقة.

إن مفهـوم كلمــة الاستشـراق فـي اللّغـة بدايـةً، مشـتق مـن كلمـة شـرق، لـذا يقـال: " شـرقت الشمس شروقاً إذا طلعت"[1].

وقـد عرّفـه إدوار سـعيد الاستشـراق فـي قولـه :" هـو أسـلوب تفكيـري يقـوم علـى التمييـز الوجـودي والمعرفـي بـين مـا يسـمى الشـرق وبـين مـا يسـمى فـي معظـم الأحيـان بـالغرب"، وعنـد طـرح المسـألة فـي هـذا الشـكل فهـذا يعنـي التعريـف التـالي:" الاستشـراق هـو أسـلوب مَنهجـي فـي معالجـة بعـض المسـائل التاريخيـة والحضـارية والثقافيـة يسـتند إلـى التمركـز علـى الـذّات وإلى مَنظومة قِيم تُكرس ذات الباحث وهيمنة منظوره الحضاري والعرقي" [2].

---

[1] محمد بن سعيد الرحباني، الأثر الاستشرافي في موقف محمد أركون من القرآن الكريم، ندوة القرآن الكريم في الدارسات الاستشرافية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة، السعودية، ص3.

[2] سالم يفوت، حفريات الاستشراق : في نقد العقل الاستشرافي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط١، ١٩٨٩، ص٦.

ومـن المفيـد أن يقـدم الباحـث تعريفـاً للمستشـرقين، فهـم حسـب قـول مالـك بـن نبـي: " اننـا نعنـي المستشـرقين الكُتّـاب الغـربيين الـذين يكتبـون عـن الفكـر الإسـلامي وعـن الحضـارة الإسلامية وقد صنفناهم بما يسمى طبقات على صنفين:

- مـن حيـث الزمـان: طبقـة القـدماء مثـل جربـر دور بيـاك والقـديس تومـاس الاكـويني والمحدثين مثل كاره دوقو وجولد شهير.
- مـن حيـث الاتجـاه العـام نحـو الإسـلام والمسـلمين لكتابـاتهم: فهنـاك طبقـة المـادحين للحضارة الإسلامية وطبقة المنتقدين لها المشوهين لسمعتها"[1].

لقـد كـان الاستشـراق فـي سـنواته المبكـرة مسـألة نصـوص ومتـون فـي الأسـاس، وبنـى الغـرب صـورة الشـرق وأفكـاره مـن خـلال النصـوص الشـرقية المختـارة والمرسـلة إلـى الغـرب، وكانـت في الغالب بعيدة عن السياق الأصلي للنص [2].

والمعـروف عـن الاستشـراق أنـه اتجـاه فكـري، يرتكـز حـول دراسـة الحضـارات الشـرقية بوجـه عـام، فـي حـين أنـه يـدرس العـرب والحضـارة الإسـلامية علـى وجـه الخصـوص، وفـي أول فتـرة لـه كـان مَعنـي بدراسـة اللّغـة العربيـة فقـط، وذلـك للتعـرف عليهـا مـن أجـل محاربتهـا بشـكل أقـوى، فولـدت حركـة فـي أوروبـا "معـاداة العروبـة"، ضـد العلـم العربـي، بحيـث كانـت تريـد مـن العـرب أن يسـتندوا علـى قاعـدة اغريقيـة لاتينيـة وتـرك القاعـدة العربيـة الاسـلامية،

[1] مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، دار الارشاد، بيروت، ص ٥.

[2] جي، كلارك، التنوير الآتي من الشرق، ترجمة شوقي جلال، عالم المعرفة، الكويت، ص ١٥٩ – ١٦٠.

وكل هذا قام به في البداية دانتي[1]، ورغم ذلك العداء المُعلن لكل ما هو عربي فقد" أخرج دانتي من النّار كل من ابن سينا وابن رشد وصلاح الدين ووضعهم في المطهر وهؤلاء هم المحدثون الوحيدون الذين انضموا إلى العالم القديم وابطاله[2] .

لقد كان الشرق بالنسبة للأوربيين في الموقف الآخر ومع بدايات القرن السابع عشر، أرض التوراة والضياء إنه الرومانتيكية أو الواقعية التي حلم به لامارتين[3] وديديه وفلوبير، وفرومنتان، فديده المشمئز من باريس ومن فرنسا واوروبا برمتها، ذهب هناك ليبحث عن الراحة والنسيان ولامارتن يفكر بالشرق ليحي ذكريات شبابه المسيحية لرؤية تلك الجبال الذي كان يهبط بها الرب وتلك الصحاري التي كانت تؤمها الملائكة لتظهر لهاجر النبع الخفي[4].

ومن ثم حدث له توسع، فأصبح يشمل دراسة الأمم الشرقية كلها بما يتضّمن تقاليدها، لغاتها، وآدابها، حيث إنّ المستشرقين هم العلماء القادمون من الغرب حتى يدرسون اللغة العربية، الإسلام، أديان الشرق، ولغاته وآدابه.

---

(1) **دانتي**أليغييري: (**Dante** Alighieri)، (فلورنسا 1265 – 1321) ويعرف عادة باسم **دانتي** وهو شاعر إيطالي من فلورنسا، أعظم أعماله: الكوميديا الإلهية المكونة من ثلاثة أقسام الجحيم، المطهر والفردوس، يعتبر البيان الأدبي الأعظم الذي أنتجه أوروبا أثناء العصور الوسطى.

(2) جوزيف شاخت، وكليفورد يوزوث، تراث الإسلام، ترجمة محمد زهير السمهوري، حسين مؤنس، ج١، ص ٤٥.

(3) لفونس دي لامارتين:(Lamartine de Alphonse)، (1790 – 1869) هو شاعر وسياسي فرنسي .يُعدّ أحد أكبر شعراء المدرسة الرومانسية الفرنسية. خاض من أشهر أعماله "تأملات شعرية" (1820)، و"جوسلين" (1836)، و"سقوط ملاك" (1838). ومن أشهر قصائده قصيدة البحيرة التي ترجمها للعربية نقولا فياض.

(4) بير جودا، الرحلة الى الشرق، ترجمة مي عبد الكريم وعلي بدر، الاهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ٢٠٠٠، ص ٢٥.

وأسهم الاستشراق إسهاماً كبيراً في إعادة صياغة الشرق، وإخراجه في صورة نمطية ساعدت كثيراً في تكوين مخيلة الإنسان الغربي عن الإسلام والمسلمين، فعملية ربط التغلغل بالاستشراق تأتي ضمن رؤية قائمة على التداخل الكامل ما بين المفهومين مع تجنب الجدل الدائر حتى الآن حول الاستشراق وارتباطاته بالاستعمار، فمفهوم التغلغل يماثل معناه اللغوي الاختراق، والمقصود فيه استراتيجية الدولة الاستعمارية الممنهجة والبطيئة اقتصادياً وسياسياً وثقافياً، وبناءً على ذلك يقع المفهوم مع مفهوم الاستشراق، فالاستشراق وفق هذا التصور هو " علم الشرق أو علم العالم الشرقي، أي البحث في علوم الشرق وعقائده وآدابه، فهو أحد أبرز أدوات الغرب للهيمنة على الشرق، وفق حالة من الوعي الجغرافي السياسي الذي يقسمه العالم إلى قسمين غير متكافئين: الشرق والغرب، طارحاً فكرة التفوق والاستعلاء، فهو أسلوب تفكير يقوم على التميز المعرفي والوجودي بين الشرق والغرب [1].

وعلى الرغم من أن مهمة الاستشراق كانت منذ نشأته تنقسم الى قسمين الاول سياسي والثاني تبشيري، ومن أجل تحقيق هذا الهدف توجهت البعثات العلمية المسيحية إلى الأندلس، من ضمنها باباوات الكنيسة الذين سبقوا ان تعلموا في الأندلس. ففي عام ١٠٩٤-١١٥٦م، قام بولس المحترم بتشكيل جماعة من المترجمين أوعز لهم بترجمة

---

[1] الاستشراق والتغلغل الألماني في الدولة العثمانية، دراسة في وظائف وأدوار الاستشراق الألماني في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، أمجد الزعبي، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد ٤٦، عدد١، ملحق ٢، ٢٠١٩، ص٣٥٨.

القرآن الكريم الى اللاتينية، فنكّب المترجمون المسيحيون على ترجمة القرآن ودراسته من اجل نقده [1].

وفي فترة ما بين الحربين، تكون استشراق فريد من نوعه، حيث كان لها (الحربين) آثاراً عظيمة على الفكر الأوروبي، ولكن الاستشراق لم يَسلم في تغيراته العظيمة في ذهنية العقل الأوروبي حينها، و هذا ما يصفه محمد عابد الجابري في بحث بعنوان « الرؤية الاستشراقية في الفلسفة الإسلامية– طبيعتها ومكونات الإيديولوجية والمنهجية قائلاً : « كان ماسينيون، المستشرق الفرنسي المعروف من أبرز من مارسوا الاستشراق هذا " الكفران " بالعقلانية والهروب إلى الذات، وقد أتاحت له رحلته إلى الشرق في إطار الدور الاستكشافي الاستعماري حيث سبق له أن عاش في المغرب – العربي، مكنّه ذلك من اكتشاف الحلاج المتصوف المشهور، فوجد في تصوفه ومأساته ما جعله يعانق فيها أزمته الروحية ويعيش داخلها أزمة الفكر الأوروبي الذي ينتمي إليه ويقر فيها تعاطف رومانسي وروحانية المسيحية الأوروبية في القرون الوسطى » [2]

إن مهمة الاستشراق المطور من طرف لويس ماسينيون تطوير مناهج استشراقية جديدة مبنية على التفاهم، وهي نظرة مثيرة تستند رؤيتها على أن الإسلام كثقافة و كدين يحمل بداخله تماسكه الداخلي، وأنه ليس تكتل لمذاهب فكرية ودينية قديمة استعارها من مصادر مختلفة، ومهما يكن من أمر فإن هناك فرق بين منهجيته و منهجية المستشرقين

---

[1] سعد آل حميد، اهداف الاستشراق ووسائله، جامعة الملك سعود، كلية التربية – قسم الثقافة الإسلامية، د. ت.ن، ص ٢.

[2] محمد عابد الجابري وآخرون، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الاسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٨٥، ج١، ص ٣٣٢.

السابقين له، حيث اتهم هؤلاء المصادر الإسلامية، وأشاعت معهم تلك الفرضيات الاستشراقية والتي عبر عنها كلير ستدل في قوله : "ولا شك أن مجموع المواضيع والمطالب والتعاليم المدونة في القرآن والأحاديث هي مثل أنواع أقسام مياه آتيه من أنحاء شتى ومن ينابيع متفرقة فتجمعن إلى بحيرة غير أن الإناء الذي أكسب هذه المياه المتجمعة وشكّل هيئتها، هو عقل محمد ونفسه وسجيته وطبيعته » [1].

وأما مدارس الاستشراق، فقد اهتمت الدراسات الاستشراقية بجميع الجوانب الحضارية والسياسية والفلسفية والدينية والاقتصادية الخ، وكانت هناك توجهات خاصة لكل مدرسة من مدارس الاستشراق، فالاستشراق الفرنسي والهولندي مثلاً اهتم بالجوانب اللّغوية والأدبية واهتمت المدرسة الألمانية والفرنسية أيضاً بتحقيق ودراسة المواضيع العلمية في الحضارة العربية، واهتم الاستشراق البريطاني والألماني بدراسة العقائد الاسلامية والدين الإسلامي، أما المدرسة الروسية فقد اهتمت بدراسة التراث، ومن أهم مدارس الاستشراق:

- الاستشراق الفرنسي.
- الاستشراق البريطاني.
- الاستشراق الألماني.
- الاستشراق الإسباني.
- الاستشراق الإيطالي.

---

[1] – كلير سندل، مصادر الإسلام ص ٧٢، www.Muhammadanism.org.

- الاستشراق الهولندي.
- الاستشراق الأمريكي.
- الاستشراق الروسي.

وأما الاستشراق القرنسي الذي هو موضوع الدراسة فيمثِّل لوحةً كبيرة، رسمت ملامحها في القرن السادس عشر وقد لعبت فرنسا دورًا هامًّا في الاستشراق، منذ تأسيس مدرستي "ريمس" و"شارتر" لتدريس اللّغة العربية في باريس، وكرسي للدّراسات الإسلامية في جامعة السوربون، والتي ألحق بها معهد الدراسات الإسلامية، ومنذ الثورة الفرنسية 1789 أُنشِئت مؤسسة جديدة هي مدرسة اللغات الشرقية، وكانت اللغات التي تدرس- هي العربية الفصحى والعامية، ويمكن الاعتبار أن العقدَ الأخير من القرن الثامن عشر انطلاقةٌ حقيقية للدراسات الشرقية الفرنسية.

وبدا الاهتمام بالمؤلَّفات الشرقية واضحًا في المصنف الشهير (وصف مصر) وهو جهدٌ ضخم للعلماء المرافِقين للحملة الفرنسية على مصر، ولم يكن أساتذةُ مدرسة اللّغات الشرقية أساتذةً فحسب، بل علماء حقيقيين، ومن أشهرهم "سلفستر دي ساسي"، "جوبير"، "رينوه"، "ديفريمري."

وقد دفع احتلال فرنسا للجزائر 1830، نحو توسيع دائرة الاستشراق الفرنسية، ولا سيما العناية باللغة العربية، كما تضاعف الأمر بعد احتلال تونس ومراكش، إذ صار حتميًّا التعرف على اللغة والتاريخ والديانة، فترجمت ونشرت نصوصٌ عربية كثيرة.

وبدخول القرن العشرين ظهر تحول واضح في الاستشراق الفرنسي، فقد سمح بإنشاء المدرسة العلمية للدراسات العليا في باريس، مما أدى إلى تجديدِ المواد المتنوعة

والمتخصصـــة فـــي الدراســـات الاستشـــراقية، وظهـــر أســـاتذة متميـــزون؛ مـــن أمثـــال: "لـــويس ماسينيون"، "وليم مارسيه"، و"جورج مارسيه"، و"جان داني".

فأما المستشرق ماسينيون فيعد نموذجاً فريداً في تأكيد الصلات الثقافية بين الشرق والغرب، إذ كان لإسهاماته القيمة في مجال الدراسات الإسلامية، ولا سيما الصوفية، بصمات واضحة وعميقة الأثر على الدارسين المتخصصين على الجانبين الغربي والإسلامي، ويرجع ذلك إلى سعة اطلاعه وعمق نظرته وغزارة علمه وصـــلاته الوثيقة ببلاد الشـــرق الإســـلامي، لذا اختار الباحث هذا العَلَم ليكون موضوعًا لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، وذلك تحت عنوان:

(الاستشراق الفرنسي والتراث العربي – ماسينيون نموذجاً).

الفصل المنـهجي للدراسة

أولاً – أسباب اختيار البحث وأهميته:

1) ما حظي به المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون من منزلة عالية بين المستشرقين وعند الدراسين والباحثين والمثقفين العرب.

2) أن البحث يسلط الضوء على جهود ماسينيون الاستشراقية القيمة، ومنهجه في تناول التراث العربي.

3) جدة البحث، إذ لم يُطرق – على حد علم الباحث – هذا الموضوع على نحو مستقل في دراسة شاملة متخصصة.

4) تباين الأخطاء أو بعض الافتراءات التي قام بها المستشرقون فيما خص الدراسات الإسلامية وعلى وجه الخصوص الاستشراق الفرنسي.

ثانياً– إشكالية البحث وأسئلته:

لم يحظ عالم من علماء الإسلاميات في العصر الحديث بمثل ما حظي به المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون، من مكانة سامية ترتفع به إلى آفاق الإنسانية والروحية لدى الكتاب والباحثين العرب، فهو عندهم ليس مستشرقًا منصفًا محبًّا للعرب والمسلمين، مدافعًا عنهم ومناصرًا لقضاياهم فحسب، بل هو الصوفي الروحاني، والباحث المتوحد بموضوعه، المخلص له. من هنا جاء هذا البحث محاولاً فحص هذه الرؤية نقدياً، والبحث عن الأسباب التي تقف خلف المنزلة

العلمية العالية التي يكنها علماء المشــرق لهذا المســتشــرق، وذلك عن طريق الإجابة عن بعض الاسئلة التي سيبني الباحث بحثه عليها لتقوده إلى نتائج علمية صحيحة، منها:

1) من هم أهم أعلام المدرســة الفرنســية الاســتشــراقية، وما هي أهم الجوانب التراثية العربية التي اعتنت فيها هذه المدرسة؟
2) ما هو منهج أصحاب هذه المدرسة في تناول التراث العربي؟
3) ما هي المؤثرات التي أثرت في تكوين ماسينيون الفكري؟ وما هي جهوده في خدمة التراث العربي؟
4) ما هو موقف ماسينيون من اللغة العربية والإسـلام، وكيف كانت رؤيته للواقع العربي وما هو موقفه من التراث العربي المخطوط؟
5) ما هو منهج ماسينيون في فهم معنى التصوف وتعريفه، وفي تأويل نصوص الحلاج؟

ثالثاً – أهداف البحث:

من جملة الأهداف التي سيسعى الباحث إلى تحقيقها:

7) تسليط الضوء على أهم أعلام المدرسة الفرنسية الاستشراقية، وعلى أهم الجوانب التراثية العربية التي اعتنت فيها هذه المدرسة.
8) الكشف عن منهج أصحاب هذه المدرسة في تناول التراث العربي.
9) تسليط الضوء على حياة المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون، والمؤثرات التي أثرت في تكوينه الفكري، وعن جهوده في تناول التراث العربي، سـواء أكانت الدراسـات التي اعتنى فيها بالإسلام والصوفية، أو الدراسات التي اعتنى فيها بتاريخ العرب وأدبهم.

10) بيان موقف ماسينيون من اللغة العربية والإسلام، ورؤيته للواقع العربي وموقفه من التراث العربي المخطوط.

11) الكشف عن منهج ماسينيون في فهم معنى التصوف وتعريفه، و منهجه في تأويل نصوص الحلاج.

رابعاً – الدراسات السابقة:

تناول الدكتور إيلي الربضي ماسينيون في كتابه الموسوم بـ **(لويس ماسينيون)**، الصادر عن المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء، ط، 2019م. وهو كتاب صغير يقع في حدود (110) صفحات، تناول الباحث فيه حياة ماسينيون وبعض طروحاته وسرد شهادات العلماء فيه. وتفترق دراستنا عن هذه الدراسة بأنها ستتناول جهود ماسينيون وموقفه من التراث العربي على نحو موسّع في مختلف القضايا، ولن تقف عند حدود الوصف السريع المختصر.

ومن الدراسات ما تناول المدرسة الاستشراقية الفرنسية برمتها وكان ماسينيون أحد أعلام البحث فيها، منها:

- **الاستشراق الفرنسي والأدب العربي:** أحمد درويش، دار غريب – مصر، ط1، 2013م.

كما أن هناك جملة من المقالات المكتوبة حول ماسينيون والمنشورة في عدة مجلات عربية ورقية وإلكترونية، منها:

- **ماسينيون المستشرق المتصوف:** محمد الدعفيس، مجلة الوطن السعودية، عدد 6 مايو / 2020م.
- **المستشرق لويس ماسينيون ما له وما عليه:** عبدالرزاق الأصفر، مجلة المورد، ع32، 2001م.

- **حياة ماسـينيون وأبحاثه:** فخري الكيلاني، مجلة الموقف الأدبي – دمشـق، ع155، 1984م.
- **بمناسـبة مرور مائة علم على ولادة لويس ماسـينيون:** فخري الكيلاني، مجلة الموقف الأدبي – دمشق، ع156، 1984م.

وهي مقالات سيستفيد منها الباحث في حال كان فيها ما يغني البحث بموضوعاته وقضاياه.

خامساً – خطة البحث:

تم تقسـيم الدراسـة مبدئياً إلى مقدمة فتمهيد وثلاثة فصـول، جاء التمهيد للكلام على الاسـتشـراق الفرنسي، وخصص الفصل الأول لتناول المدرسة الفرنسية والتراث العربي، أما الفصل الثاني فتناول ماسـينيون وجهوده في خدمة التراث العربي، وتناول الفصـل الثالث رؤية ماسـينيون ومنهجه في التعامل مع التراث العربي، ثم تأتي الخاتمة. وتفصيل ذلك كما يأتي:

* مقدمة الدراسة..

* التمهيد..

الاستشراق والتراث العربي

(نشأته – مراحل تطوره – أهم مدارسه)

الفصل الأول: المدرسة الاستشراقية الفرنسية والتراث العربي

المبحث الأول: أعلام المستشرقين الفرنسيين

المبحث الثاني: جوانب عنايتهم بالتراث العربي

- القرآن الكريم والدراسات الاسلامية

- الدراسات التاريخية والفلسفية
- الأدب العربي ونقده

المبحث الثالث: منهجهم في تناول التراث العربي

الفصل الثاني: ماسينيون وجهوده في خدمة التراث العربي.

المبحث الأول: حياته وتكوينه الفكري

المبحث الثاني: ربطه بين معالم الدين المسيحي والدين الإسلامي

المبحث الثالث: جهوده في خدمة التراث العربي

- الدراسات الإسلامية
- الدراسات الصوفية
- الدراسات التاريخية
- الدراسات الأدبية

الفصل الثالث رؤية ماسينيون ومنهجه في التعامل مع التراث العربي

المبحث الأول: موقفه من اللغة العربية والإسلام

المبحث الثاني: رؤيته للواقع العربي وموقفه من التراث العربي المخطوط

المبحث الثالث: منهجه في فهم معنى التصوف وتعريفه

المبحث الرابع: منهجه في تأويل نصوص الحلاج

* خاتمة البحث: النتائج والتوصيات..

* الفهارس العامة ...

سادساً – منهج البحث:

تقتضـــي طبيعة الدراســة اتباع المنهج التاريخي والوصـــفي التحليلي، وذلك في تتبع حياة المسـتشـرق ماسـينيون، وقراءة مؤلفاته قراءة تمكن من الكشـف عن جهوده في خدمة التراث العربي ومنهجه وموقفه ورؤيته.

الفصل الأول: المدرسة الاستشراقية الفرنسية والتراث العربي

- المبحث الأول: أعلام المستشرقين الفرنسيين.
- المبحث الثاني: جوانب عنايتهم بالتراث العربي.
- المبحث الثالث: منهجهم في تناول التراث العربي.

خاتمة الفصل الأول.

مقدمة الفصل:

إن توسع حركة الاستشراق في الدول الاستعمارية كبريطانيا وفرنسا وألمانيا، (ساهمت في دراسة الشرق) من قِبل الأكاديميين في أروقة الجامعات والمعاهد العلمية أفضت إلى تطور مفهوم الاستشراق وتناول مواضيعه بصورة أكثر منهجية، للتوسع وتشمل الشرق الأقصى والأدنى والأوسط بما فيها الدول العربية.

وقد أصدر المستشرقون مع بداية القرن العشرين، بالإنجليزية والفرنسية والألمانية موسوعة كاملة عن الإسلام ديناً وتاريخاً وحضارة وآداب، وعلوماً واقتصاداً وسياسةً تسمى بالعربية " دائرة المعارف الإسلامية"، وهي عبارة عن أربعة مجلدات، ثم أصدروا ذلك في مجلد واحد ضخم بعنوان "Shorter Encyclopedias of Islam"، ويجد القارئ في هذا المجلد خلاصة الفكر الاستشراقي فيما خص ديننا ورجاله [1].

ويمكن القول أن بدايات الاستشراق الفرنسي كان في القرن السادس عشر، وهذا ما يؤكده قول يوهان: " ثم أخذ بعض أهل العلم يطفون في الشرق ليحصلوا على مخطوطات عربية من استنبول ودمشق وغيرها من مدن الشرق، ولتعلم اللغة العربية في هذه المنطقة، وكان أول هؤلاء المستشرقين (ويلهلم بَوستل W. Postel) الفرنسي الأصل الذي أرسله ملك فرنسا فرانسوا الأول سنة ١٥٣٤ إلى مصر، ثم إلى استنبول حيث تعلم العربية والتركية والعبرانية، ثم بعد عودته إلى وطنه ألف كتاباً في النحو العربي، أشار

[1] إبراهيم عوض، دائرة المعارف الإسلامية الإستشراقية أضاليل وأباطيل، مكتبة البلد الأمين خلف الجامع الأزهر، الطبعة الأولى، 1419 هـ - 1998، ص5.

إلـى أهميـة اللّغـة العربيـة وآدابهـا، لكـن أملـه فـي درس هـذه اللغـة كـان مـن أجـل فـتح بـاب جديد للمبشرين النصارى في بلاد الإسلام[1]

وقـد أنشـئت مؤسسـة جديـدة منـذ الثـورة الفرنسـية 1789، فـي مدرسـة اللغـات الشـرقية " تـدرس اللغـة العربيـة الفصـحى والعاميـة" فـي بـاريس، وقـد بـرزت منـذ القـرن السـادس عشـر، حيـث تعـد المـدارس الفرنسـية الإستشـراقية مـن أهـم المـدارس الأوروبيـة التـي قامـت بدراسـات إستشـراقية جبّـارة خاصـة مـع إنشـاء مدرسـة اللغـات الإستشـراقية الحيـة[2] عـام 1795م.

كمـا ظهـر تحـول كبيـر فـي الإستشـراق الفرنسـي (مـع دخـول القـرن العشـرين)، حيـث أنشـئت المدرسـة العلميـة للدراسـات العليـا فـي بـاريس ممـا أدى إلـى تجديـد المـواد المتنوعـة والمتخصصـة فـي الدراسـات الإستشـراقية، وقـد لمـع عـدد مـن الأسـتاذة أمثـال: " لـويس ماسينيون"، " وليم مارسيه"، " جاني داني"وغيرهم..

وسـوف يـتم التركيـز فـي هـذا الفصـل علـى أعـلام المستشـرقين الفرنسـيين، وعنـايتهم بـالترات العربـي:" اللغـة العربيـة القـرآن الكـريم والدراسـات الإسـلامية إضـافة إلـى الدراسـات التاريخيـة والفلسـفية"، ومـنهج هـؤلاء المستشـرقين فـي تنـاول التـراث العربـي، وسـيتم تفصـيل ذلك في هذا الفصل.

---

[1] صـلاح الـدين المنجـد، المستشـرقون الألمـان: تـراجمهم ومـا أسـهموا بـه فـي الدراسـات العربيـة، دار الكتـاب الجديد، بيروت، ١٩٧٨، ج١، ص ١٥.

[2] تعـد المدرسـة الفرنسـية مـن أهـم المـدارس الاستشـراقية وبخاصـة منـذ إنشـاء مدرسـة اللغـات الشـرقية الحيـة سـنة 1795م، والتـي ترأسـها المستشـرق المشـهور سلفسـتر دي ساسـي، وكـان هـذا المستشـرق يعـد عميـد الاستشراق الأوروبي في النصف الأول من القرن التاسع عشر دون منافس.

المبحث الأول: أعلام المستشرقين الفرنسيين

امتلكت فرنسا منذ حوالي ألف عام، أعداد هائلة من المخطوطات العربية والنماذج الحضارية العربية[1]، وذلك كونها نقطة ارتكاز رئيسية، بموقعها الذي لعب دوراً هاماً في عملية التمازج بين الشرق والغرب.

وبدأت عملية التمازج الثقافي، مع بداية الزحف العربي الشرقي إلى أوروبا، الذي اجتاح شبه جزيرة الأندلس إلى بلاد الغال[2] ، وكانت فرنسا نقطة التصادم الأولى في موقعة بلاط الشهداء سنة 732م، التي جرت بين الجيوش الإسلامية بقيادة عبدالرحمن الغافقي[3] وجيوش الفرنجة بقيادة شارل مارتل[4]، حيث استطاع هذا الأخير الانتصار بهذه المعركة، ومعها توقفت موجة الزحف وانحسرت بعدها، حتى سقوط آخر معاقل المسلمين العرب في الأندلس عام 1492م[5].

وقد قامت الأدبيات الاستشراقية الرومانسية الفرنسية برسم (شرق خيالي)، حيث ثبتت الصورة الخيالية للشرق في روايتهم ولوحاتهم الفنية، حيث جعلت منه شيطاناً، وقد

---

(1) أحمد درويش، الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، دار الغريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2004، ص 23.

(2) بلاد الغال كانت تضم المناطق التي تشمل الآن فرنسا وبلجيكا، والجزء الألماني الواقع غرب نهر الراين.

(3) أَبُو سَعِيدٍ عَبْدُ الرَّحْمَٰن بِن عَبْدُ الله الغافِقِي العكي والي الأندلس لمرتين. الأولى قدمه أهل الأندلس واليًا عليهم بعد مقتل الوالي السمح بن مالك الخولاني إلى أن حضر الوالي المعين من قبل الدولة الأموية عنبسة بن سحيم الكلبي في عام 103 هـ، والثانية بتكليف من والي أفريقية عبيد الله بن الحبحاب عام 113 هـ. للمزيد راجع موقع https://zims-ar.kiwix.campusafrica.gos.orange.com تاريخ الدخول 2021/11/17

(4) هو قارله واسمهُ بالفرنسية الحديثة شارل مارتيل بالفرنسية"Charles Martel " ولد في آب 688م وتوفي في 22 تشرين الأول 741 م، وهو قائد عسكري فرنجي كان الحاكم الفعلي للإمبراطورية الفرنجية منذ عام 718 حتى وفاته عام 741. https://www.marefa.org/ تاريخ الدخول 2021/11/17.

(5) أحمد درويش، الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، مرجع سابق، ص 18.

لخص الكاتب والفنان الغربي الشرق للقارئ الأوروبي انه مكان " الاستبداد والثروات، والاغراض الجسدية والجنسية" [1].

لقد نظر الأوربيون إلى الشرق على صورة نمطية، وما زال يُنظر إليه حتى يومنا هذا كنظرات صنعاء الأدباء والمستشرقون والفنانون، ولكنّ هذه الصورة النمطية في الحقيقة ما هي إلا مجموع الخيالات الأوربية عن الغرباء، الذين لا ينتمون إلى اوروبا [2].

وقد أسهم الاتصال المباشر الذي حدث في القرن التاسع عشر بين فرنسا وبلدان العالم العربي، انطلاقاً من حملة نابليون على مصر، واحتلال فرنسا للجزائر عام 1832م، وتونس عام 1881م، وتواجدها في المغرب وبلاد الشام، قد أغنى المكتبة الوطنية الفرنسية لتصل المخطوطات العربية إلى ثلاثة آلاف وخمسمائة مخطوطة[3].

وقد أوجدت هذه المخطوطات بعددها الكبير طبقة من الدارسين المهتمين باللغة العربية وآدابها والذين شكلوا ظاهرة المستشرقين والمستعربين.

وأما الجهود الفردية للاستشراق الفرنسي في خدمة الثقافة المشرقية، تمثلت بعدد من الأستاذة المتميزين وألمعهم جاءت فُرادة ماسينيون وذلك من إسهاماته القيمة في مجال الدراسات الإسلامية، والدراسات الصوفية منها بوجه خاص، ويرجع ذلك إلى سعة

---

[1] رنا قباني، اساطير اوروبا عن الشرق، ترجمة صباح قباني، ص ٤١.

[2] أندرياس فليتش، سحر الشرق وحاضر اسطورة اوروبية، ترجمة رشيد بو طيب، مجلة فكر وفن، عدد ٨١، ص ٤٩.

[3] أحمد درويش، الإستشراق الفرنسي والأدب العربي، مرجع سابق، ص (19،22)

إطلاعـه وعمـق نظرتـه وغـزارة عِلمـه، إضـافة إلـى رحلاتـه المتعـددة إلـى بـلاد الشـرق الإسلامي، وصلاته الوثيقة بالمؤسسات العلمية الإسلامية، وقيامه بالتدريس فيها(1).

وقـد تناولـت المدرسـة الإستشـراقية الناطقـة بالفرنسـية موضـاعات ودراسـات متعـددة ومتنوعـة وهي كالتالي:

- تـاريخ اليهوديـة: اهـتم بـ" روح السـامية" فـي مقابـل ذهنيـة الأوروبيـين، إبـن رشـد والرشدية: ارنست رينان "Ernest Renan" (1832-1892).
- التـاريخ المشـرقي، مهـد الاسـلام: هنـري لمـنس "henri lammens" (1862-1937).
- التصـوف الإسـلامي، الحـوار الاسـلامي المسـيحي: لـويس ماسـينيون "Louis. Massignon" (1883-1962).
- تـاريخ الادب العربـي، ترجمـة القـرآن الكـريم، النحـو العربـي، ريجـيس بلاشـير "RegisBlashere" (1900-1973).
- التصـوف الإسـلامي، التشـيع، تـاريخ الفلسـفة الإسـلامية، ترجمـة كتـاب الحكمـة للسهرودي، هنري كوربين (1978-1903)
- اسـبانيا القروطسـية، اسـبانيا الإسـلامية، تـاريخ إسـبانيا الاسـلامية، ليفـي بروفنصـال "levi – provencal" (1894-1956).[2]

---

(1) محمـد الـدعفيس، مقـال منشـور فـي مجلـة الـوطن السـعودي عـن موقـع alwatan.com. عـدد 6 مـايو 2020، ماسينيون المستشرق المتصوف، تاريخ. 2020/5/7

(2) فتح الله محمد، الترجمات الإستشراقية للقرآن الكريم، أطروحة دكتوراة للشهادات الإستشراقية :إشراف الأستاذ الدكتور باقي محمد، وزارة التعليم والبحث العلمي، الجزائر، 2015.

بالإضافة إلى الدراسات الإسلامية أمثال كتاب بلاشير " مدخل إلى القرآن"، وكتاب هنري لاوست " ابن تيمية" تميزت منها أيضاً دراسة ماسينيون حول آلام الحلاج[1]، ودراسة مكسيم رودنسون عن " محمد" صلى الله عليه وسلم " الإسلام والرأسمالية"، " الإسلام والماركسية"، إضافة إلى دراسات عديدة أخرى.

ولفهم بشكل أدق توجهات ودراسات المستشرقين فرنسيين وسيعمل الباحث على أخذ عينة عن أعلام المستشرقين الفرنسيين وهم:

1- أنطوان جالان (1646-1715) "Antoune galland":

ولد في رولدي درس العربية في معهد فرنسا، حضر دروس اللغات الشرقية في كوليج دي فرانس[2] وسافر إلى إستنبول للعمل بالسفارة، وإنتدب أستاذاً للغة العربية في معهد فرنسا عام 1807م، وإنتخب عضواً في مجامع علمية كثيرة ، ومن آثاره : كلمات

---

[1] كتاب «آلام الحلّاج (La Passion de Hallaj) «الذي أنجزه المستشرق الفرنسي لوي ماسينيون (1883ـ 1962)، بطبعات منقّحة، حيث أخذ قرناً كاملاً خارج اهتمام المكتبة العربية، على الأرجح نظراً لضخامته وصعوبة ترجمته، إلى أن تصدى لهذه المهمة المعقّدة شخص يحمل الاسم نفسه، هو الحسين الحلّاج، ترجمةً وتحقيقاً. فقد صرف مترجمنا 21 عاماً في تحقيق هذا العمل الموسوعي، وها هو يرى النور أخيراً، بطبعة أنيقة تحمل دمغة «دار نينوى» في دمشق. أربعة أجزاء تنطوي على جهد استثنائي في توثيق حياة الحسين بن منصور الحلّاج (858- 922) للمزيد راجع موقع https://al-akhbar.com/Kalimat/280237 تاريخ الدخول 2021/11/17

[2] الكوليج دي فرانس بالفرنسية Collège de France : هي مؤسسة فرنسية تختص بالبحث العلمي والتعليم العالي مقرها في المنطقة الخامسة بالحي اللاتيني بباريس، وتهتم الكوليج دي فرانس في الأساس بالبحث العلمي، ولكنها أيضاً تقوم بالتدريس ولكن على مستوى الباحثين وطلبة الدراسات العليا، أنشئت الكلية سنة 1530م، بمرسوم من الملك فرانسوا الأول ملك فرنسا.للمزيد راجع موقع https://mimirbook.com/ar/63fa7d33423 تاريخ الدخول 2021/11/17

مـأثورة عـن الشـرقين بـاريس 1694م، وهـو أول متـرجم لألـف ليلـة وليلـة، وأمثـال بلقمـان 1704-1708[1].

2- سِلفستر دي ساسي (1758 - 1838 م) Antoine Isaac Silvestre de Sacy:

هـو مستشـرق فرنسـي، لقّبـه البـدوي بـ «شـيخ المستشـرقين الفرنسـيين عمـل فـي معهـد اللغـات والحضـارات الشـرقية ببـاريس ويُعتبـر اسـتاذاً للأسـاتذة فـي اللغـات الشـرقية ولا سـيما اللغـة العربيـة. درس اليونانيـة واللاتينيـة ثـم العربيـة والعبريـة والفارسـية والتركيـة كمـا أتقـن عدة لغات أوروبية، وقد عمل على نشر المخطوطات الشرقية في مكتبة باريس الوطنية.

ومـن أبـرز اهتماماتـه " الـدروز"، حيـث ألـف كتابـاً بجـزئين حـولهم، وقـد عمـل مـع الحكومـة الفرنسية في ترجمة البيانات التي نشرتها فرنسا عند احتلال الجزائر[2]، ومن آثاره:

- "مقامات الحريري" حققها وطبعها لأول مرة دي ساسي، على حسابه الخاص في المطبعة الإمبراطورية، 1812، وزوّدها بشرح بالعربية.
- "الإفادة والاعتبار بما في مصر من الآثار" تأليف موفق الدين عبد اللطيف البغدادي، النص العربي مع ترجمة فرنسية .
- "كليلة ودمنة"، تحقيق 1816.

---

(1) بن حدو سعاد، قيطون نعيمة، الإستشراق وأثره في الحضارة العربية الإسلامية، رسالة ماجستير في اللغة والأدب العربي(2012-2011) إشراف الأستاذ محمد ملياني، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، الجمهورية الجزائرية، ص 46

(2) أحمد درويش، الإستشراق الفرنسي والأدب العربي، مرجع سابق، ص: 47

- ترجمة فصول من كتاب "روضة الصفاء" تأليف ميرخاوند بن برهان الدين خاوند شاه [1].

3- ريجيس بلاشير (1900-1973) Régis blachère :

هـو أحـد المستشـرقين الفرنسـيين الـذين قضـوا فتـرة طويلـة فـي شـمال إفريقيـا، فقـد رحـل إلــى المغـرب فـي سـن الخامسـة عشـر، وحصـل علـى الشـهادة الجامعيـة فــي اللغـة العربيـــة مـــن كليـــة الآداب فـــي الجزائـــر عـــام 1922م، مـــارس وظـــائف التعلـــيم الثانويـــة والجامعيـة فـي المغـرب العربـي، قبـل ان يسـند إليـه تـدريس اللغـة العربيـة الفصـحى فـي مدرسـة اللّغـات فـي بـاريس عـام 1935م، حيـث أعـد خـلال إقامتـه فـي بـاريس رسـالتين لنيـل شـهادة الـدكتورة فـي اللغـة العربيـة وهمـا :" أبـي الطيـب المتنبـي" ، " صـاعد الأندلسـي"، وظـل النشـاط الثقـافي حاضـراً لديـه حتـى وفاتـه علـى الـرغم مـن إصـابته بـالعمى خـلال العقيـدين الأخيـرين من عمره[2].

كـان عضـواً فـي بمجمـع اللّغـة العربيـة فـي القـاهرة ودمشـق، إضـافة لعضـويته فـي لأكاديميـة الفنـــون والآداب فـــي فرنســـا، ومـــن مؤلفاتـــه " تـــاريخ الأدب العربـــي مـــن البدايـــة حتـــى القـــرن الخامس عشر[3].

لقـد واجـه بلاشـير صـعوبات فـي نقـل معـاني القـرآن إلـى لغـة الهـدف (الفرنسـية)، وقـد كـــان يريـــد إعـــادة نقـــل تلـــك المعجـــزة القرآنيـــة الـــى لغتـــه، لكـــن هـــذا غيـــر ممكـــن وباجمـــاع المتخصصـين قاطبـة، لان اللغـة المسـتهدفة ليسـت العربيـة التـي تعتبـر معجـزة بحـد ذاتهـا، ولكـن يـرى أحـد تلامذتـه محمـود مقـداد أن هـذه الترجمـة هـي اقـرب مـن غيرهـا الـى روح

---

(1) عبدالرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين1917-2002، دار العلم للملايين، بيروت، 1984، ص 232.

(2) أحمد درويش، الإستشراق الفرنسي والأدب العربي، مرجع سابق، ص: 27

(3) هو كتاب طموح كان قد خطط له، واقترح من خلاله تقسيماً جديداً لتاريخ الأدب العربي، وقد ترجم هذا الكتاب على الدكتور إبراهيم الكيلاني وصدر عن وزارة الثقافي في دمشق عام 1974م.

النص الأصلي للقرآن، مع استبعاد اي ترجمة للقرآن استبعادا مطلقاً لاستحالة المقارنة وهذه الترجمة على أي حال أكثر الترجمات إفادة للباحثين من علماء الإسلاميات في ميدان الاستعراب الفرنسي بالتحديد [1] .

ولا شك أن رواج فكرة المحاولات النقدية للسيرة النبوية في المجتمع الغربي، في مخبر للبحث، حيث يقول جان سوفاجيه وكلود كاين داعمين وجهة نظر بلاشير: "يعد النبي محمد شخصية تاريخية حقيقة مقارنة بمعظم مؤسسي الأديان، ومع ذلك لا سبيل لاعتماد سيرة موثوقة لحياته، ورسالته تتجسد في القرآن وليس من المتوقع منه أن يقدم من الناحية التاريخية، لان شخصية محمد تندرج في سير القدسيين بقدر انتمائها للتاريخ ان لم يكن أكثر "[2].

لقد وصل الأمر ببلاشير إلى تجريد الرسول صلى الله عليه وسلم من اسمه زاعميين انه لم يدع محمدا قط، و ينطبق هذا أيضاً على من افتتن بالمستشرقين، لأن هذه الفرضية لا أساس لها، حيث ان واقع الحال السائد في السيرة النبوية المثبتة والحديث، والتفاسير يدحض، تصورهم الاستشراقي المشكك للتسمية، ومن الزاوية التاريخية نسرد: " اما محمد فاسم مفعول من التحميد للمبالغة تحميد، يقال: "حمده نسبة إلى كثرة المحامد وتعني، الفضائل، أو هو الذي حمده وحمد أي أحمد الله تعالى بجميع محامده ؛ قال النابغة : [من الطويل] وألقيت في العبسي فضلاً ونعمة ومحمدة من باقيات المحامي و« أحمد

---

[1] محمود المقداد، تاريخ الدراسات الغربية في فرنسا، ص ٢١٧ – ٢١٨.

[2] جان سوفاجيه، كلود كاين، مصادر دراسة التاريخ الإسلامي، دليل بيبلوغرافي، ترجمة عبد الستار حلوجي، عبد الوهاب علوب، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٨٨، ص ١٩٥.

إليـك الله ». وأحمـدتُ فلانـاً: وجدتُـه محمـوداً. وأحمـد الرجـل: جـاء بمـا يحمـد عليـه، والله محمـود وحميـد. ورجـل كثيـر الحمـد. وحمـدت الله ومجدتـه. وهـو أهـل التحميـد والتحاميـد. وتحمد فلان: تكلف وجلية، والحمد. تقول: وجدته متحمداً متشكراً[1].

وإذا ما تم استعراض المصادر الاستشراقية المنصفة للإسلام ورسوله، فلن نجد دليلاً صارخاً يهدم قصر بلاشير الورقي وموقفه إزاء التشكيك في إسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خير مما يقوله المسـتشـرق انوليتمان المشـهور بالنزاهة العلمية وصـاحب الاختصـاص الدقيق في هذا المجال، والموجود في كتابه " اسماء الأعلام في اللغات السامية فيقول:" وللأسماء التي اشتقت من فعل حمد هي عديدة، ونجد منها حمد، وحامد وحماد... وطبعاً محمد معروف عند الجميع"[2].

ومن الثابت تاريخيًا عند الغرب المسـيحي ان لفظة " ماهومي Mahomet", (وتعني مسـلم) تدل على الذين لم يفلح بحمد الله ولم يباركه الله، هذا في الطرف الاوروبي أو الضـفة الشـمالية، بينما يدل لفظ محمد لدى المسلمين (وهم اصل اللغة العربية وتفسيرها)، الذي باركه وانزل عليه حمده، وهذا ما يبرر اصرار بلاشير على استخدام ترجمة محمد (ماهومي) [3]

ومـن الشـبهات التـي آثارهـا بلاشـير ايضـاً هـو مـيلاد النبـي صـلى الله عليـه وسـلم، ولكـن مقارنـة مـع الاخـتلاف حـول مـيلاد عيسـى عليـه السـلام فيعـد اخـتلاف بسـيطاً جـداً،

---

(1) للمزيد، راجع الزمخشري، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، ص 212-213

(2) انو ليتمان، اسماء الأعلام في اللغات السامية، مطبعة جامعة فؤاد الأول، مصر، ١٩٤٩، ج٢، ص ٧ – ٨.

(3) التيجني بن عيسى، " ترجمة بين الرفض والقبول"، مجلة المترجم، العدد ٣، أكتوبر – ديسمبر ٢٠٠١، دار الغرب للنشر والتوزيع، جامعة زهران، الجزائر، ص ١٢٦.

وكان بإمكانه أن. يعتمد على سيرة ابن هشام، التي تصف ميلاده صل الله عليه وسلم، يوم الإثنين الاثني عشر من شهر ربيع الأول من عام الفيل [1] .

وقد كتب عن الجغرافيين العرب كتابه :" اقتباسات من أعلام الجغرافيين العرب في العصور الوسطى"، واهتم أيضاً بالدراسات القرآنية، فقدم سنة 1974م كتابه " مدخل إلى القرآن الكريم"، وكان قدم سنة 1950م، ترجمة للقرآن الكريم (كما تم ذكره آنفاً) رتب فيها الآيات حسب النزول ثم أعاد تقديمها عام 1957، وقدم في مجال الدراسات المحلية، عدة دراسات عن شخصية الرسول [2].

4- مكسييم رودنسون (26 كانون الثاني 1915- 23 أيار 2004 م) Maxim Rodinson:

ولد في باريس، وحصل على شهادة الدكتوارة في الآداب، ثم على شهادة من المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية في باريس، تبوء مناصب علمية رفيعة في كل من سوريا ولبنان، حيث تولى مدير الدراسات العلمية للدراسات العليا في قسم العلوم التاريخية واللّغوية، ومحاضراً في قسم العلوم الإقتصادية والإجتماعية.

من آثاره:

له العديد من المؤلفات منها:" الإسلام والرأسمالية" عام 1966م، " الإسلام والماركسية" عام 1972م، " عظمة الإسلام" عام 1980، وكتاب" محمد". وقد وجه

---

[1] ابن هشام، مختصر سيرة ابن هشام، السيرة النبوية، ص ٢٤).

[2] أحمد درويش، الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، مرجع سابق، ص 28

إنتقـادات مبكـرة وعنيفـة للحركـة الصـهيونية، وعـرض سياسـية الإسـتيطان والدولـة اليهوديـة في فلسطين[1].

5- أندريه ميكيل : (26 أيلول 1929) André Miquel

ولـد فـي جنـوب فرنسـا فـي 26 أيلـول 1929، أتـم دراسـته فـي مدرسـة المعلمـين العليـا فـي بـاريس، درس اللغـة العربيـة علـي يـد بلاشـير، وعمـل عقـب تخرجـه فـي المعهـد الفرنسـي للدراسـات العلميـة فـي دمشـق وبيـروت، ولمـا عـاد إلـى فرنسـا إختـار كتـاب "أحسـن التقاسيم فـي معرفـة الأقـاليم" للمقدسـي[2] ليجعـل مـن ترجمـة بعـض فصـوله ودراسـته أطروحتـه الأولـى فـي الـدكتوراه، وقـد عـين مستشـاراً لفرنسـا للثقافـة فـي مصـر، لكنـه إقتيـد وزملائـه وسـجن فـي سـجن حربـي فـي القلعـة فـي القـاهرة بعـد خـلاف مصـر وفرنسـا حـول الجزائـر آنـذاك (فـي السـتنيات مـن القـرن العشـرين)، بعـد قضـائه عـدة شـهور فـي السـجن، غـادر مصر مباشرة بعد خروجه، وإختير عام 1989 عميداً لكوليج دي فرنس[3].

من آثاره:

- الإسلام وحضارته، صدر عام 1968م.
- الأدب العربي
- سبع حكايات من ألف ليلة.
- ترجمة قصة ليلى والمجنون.

---

[1] بن حدو سعاد، قيطون نعيمة، الإستشراق وأثره في الحضارة العربية الإسلامية، رسالة ماجستير في اللغة والأدب العربي، مرجع سابق، ص:50 -51

[2] هو أبو عبدالله محمد بن أحمد المقدسي المعروف بالمقدسي البشاري (336هـ - 380هـ)، وهو صاحب كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ويعد الكتاب من أحد أشهر موسوعات الجغرافية التي ظهرت في القرن الرابع هجري (العاشر ميلادي).للمزيد راجع https://www.marefa.org/ تاريخ الدخول 2021/11/17

[3] أحمد درويش، الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، مرجع سابق، ص: 30

إلى جانب عشرات الدراسات والمقالات حول الأدب العربي والإسلامي[1].

6- جـــاك أوغيســـتن بـــارك (4 حزيـــران 1910- 27 حزيـــران 1995) Jacque berque :

ولــد بــارك فــي الجزائــر فــي 4 حزيــران 1910، ودرس فــي جامعــة الســوربون (Sorbonne) [2] وفـي جامعـة الجزائـر، عمـل فـي المغـرب وقـد لاحـظ الصـلة الوثيقـة التـي تـربط الفرنسـيين والعـرب فـي البحـر الأبـيض المتوسـط، وهومستشـرق فرنسـي وعـالم إجتمـاع، سـاهمت خدمتـه العسـكرية فـي إطلاعـه بشـكل أفضـل علـى الحيـاة فـي المغـرب، ممـا أفـاده كثيـراً فـي دراسـته لعلـم الإجتمـاع. غـادر بـارك المغـرب متجهـاً إلـى القـاهرة (مصـر) عـام 1952م، ثـم إلــى لبنــان، وســافرعام 1956إلــى فرنساوشــغل كرســي التــاريخ الإجتمــاعي الإسلامي المعاصر في كوليج دي فرانس طوال ربع قرن [3].

وكانت علاقاته وطيدة مع المثقفين العرب والمشرق بشكل عام.

ومن آثاره:

- ترجمة معاني القرآن الكريم بعنوان " القرآن الكريم محاولة ترجمة"
- العرب بين الأمس والغد.
- مصر الإستعمار والثروة.
- المغرب بين حزبين.

---

(1) أحمد درويش، الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، مرجع سابق، ص: 30

(2) هي جامعة السوربون وفي اللغة الفرنسية (Sorbonne)، وهي جامعة بارسية رفيعة المستوى وهي من أرقى وأعرق الجامعات في العالم وتوجد في الحي اللاتيني للعاصمة الفرنسية باريس.
https://www.nextedustep.com/study-at/france/sorbonne-university/ تاريخ 2021/11/17

(3) عبدالرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، مرجع سابق، ص 150.

وقد نجح بارك في خلق جيل جديد يهتم بالدراسات الشرقية، وواصل السفر دون كلل أو ملل في نفس الوقت الذي كان يقوم فيه بترجمة معاني القرآن الكريم حتى وفاته عام 1995م [1].

7- لويس ماسينيون (تموز 1883- تشرين أول 1962) Louis Massingnon:

ولد في باريس وحصل على دبلوم الدراسات العليا في بحث عن المغرب، كما حصل على دباوم في اللغة العربية من مدرسة اللغات الشرقية في باريس بالفصحى والعامية، زار كل من المغرب والجزائر وفيها إنعقدت الصلة بينه وبين بعض المتشرقين الكبار امثال: :" جولدزيهر وآسين بلاسيوس وسنوك هورخروينه ولي شاتيليه "[2].

إلتحق بالمعهد الفرنسي الشرقي بالقاهرة عاميّ 1907م-1908م، وعاد إلى مصر عام 1909م، حضر بعض دروس الأزهر وقد إرتدى زي الأزهر، وزار العديد من البلاد الإسلامية منها الحجاز والقاهرة والقدس ولبنان وتركيا، تسلم تحرير مجلة العالم الإسلامي عام 1919م، وقد كان من أبرز إهتماماته التصوف الإسلامي، حيث حقق ديوان الحلاج[3].

وقد جمع ماسينيون ديوان الحلاج - الذي أعطاه جلَّ دراسته- وقد قسمه إلى عدة عناوين:

1- الحلاجيات.
2- مقطعات.
3- قصائد مستعارة من شعراء آخرين.

---

[1] بن حدو سعاد، قيطون نعيمة، الإستشراق وأثره في الحضارة العربية الإسلامية، رسالة ماجستير في اللغة والأدب العربي، مرجع سابق، ص:52

[2] بن حدو سعاد، قيطون نعيمة، الإستشراق وأثره في الحضارة العربية الإسلامية، رسالة ماجستير في اللغة والأدب العربي، مرجع سابق، ص:48

[3] بن حدو سعاد، قيطون نعيمة، الإستشراق وأثره في الحضارة العربية الإسلامية، رسالة ماجستير في اللغة والأدب العربي، مرجع سابق، ص 49.

4- قصائد مستعارة من شعراء لاحقين.

5- لسان حال الحلاج.

6- قصائد مكرسة لموت الحلاج [1]

إن مهمة الاستشراق المطور من طرف لويس ماسينيون تطوير مناهج استشراقية جديدة مبنية على التفاهم، وهي نظرة مثيرة تستند رؤيتها على أن الإسلام كثقافة و كدين يحمل بداخله تماسكه الداخلي ، وأنه ليس تكتل لمذاهب فكرية ودينية قديمة استعارها من مصادر مختلفة، وفي هذا الاطار لا شك ان منهج لويس ماسينيون (الذي سيتطرق الباحث إليه فيما بعد)، فهو" منهج يصدر عن رؤية ، اما صراحة واما ضمناً، والوعي بأبعاد الرؤية شرط ضروري لاستعمال المنهج استعمالاً سليماً، حيث تحدد له أفقه وأبعاده، والمنهج يغني الرؤية ويصححها"[2].

وهناك العديد من المستشرقين الفرنسيين البارزين مثل بوستل حيث إن اعمال بوستل شكلت مثلت ميلاد الاستشراق الفرنسي الذي تميز بالوضوح في الإفصاح والجلاء في التعبير والدقة في البحث فصاحبها يحاول على الدوام ان يعطيك عن الموضوع الذي يبحث فيه اصدق صورة بعبارة واضحة، وتركز اهتمامها على حضارات الشرق المختلفة عامة وحاضرة الهلال الخصيب خاصة، ثم افريقيا الشمالية كلها، والدول الإسلامية كذلك [3]

---

[1] ديوان الحلاج (1912)، جمعه لويس ماسينيون، حققه كامل الشيبي، بغداد، 1972، ص (1-45).

[2] محمد عابد الجابري، نحن والتراث:قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٦، ١٩٩٣،ص ٢٦.

[3] احمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الادب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨، ص (٢٢٢)

هذا بالإضافة لعدد من المستشرقين كأمثال "هنري لاوست، كلود كاهن، شارل بيلا، الأب لويس لامنس البلجيكي الأصل الفرنسي الجنسية، أندريه ريموند، روبير مانتريان [1]

[1] عبدالرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، مرجع سابق، ص 151.

المبحث الثاني: جوانب عنايتهم بالتراث العربي

لقد اهتم المستشرقين الأوربيين بشكل عام، والفرنسيين بشكل خاص بالتراث العربي كما ذُكر سابقاً، وجعلوا ذلك من أولياتهم واهتماماتهم، ونعني بالتراث العربي كل ما يتعلق باللّغة العربية وآدابها، القرآن الكريم والدراسات التاريخية والإسلامية وحتى الفلسفية.

أولاً: القرآن الكريم والدراسات الإسلامية.

لقد نشأت الترجمة منذ نشأت الخليقة وما يؤكده سفر التكوين في الاصحاح الحادي عشر كما يلي :" وكانت الأرض كلها لساناً واحداً ولغة واحدة، وحدث في ارتحالهم شرقاً انهم وجدوا بقعة في أرض شنعار وسكنوا هناك"[1]

انطلاقاً من هذا المعطى الديني، والتي وفرها لنا الكتاب المقدس، ويمكن القول ان أسطورة بابل كان لها تأثير كبير في علم الترجمة [2].

والمأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه من بعده وعن التابعين رضي الله عنهم أجمعين أنهم لم يكونوا يقبلون على تعلم لغة غير لغة العرب إلا إذا دعت الحاجة إلى ذلك، كما حصل في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه أحمد في مسنده عن

---

[1] الكتاب المقدس، سفر التكوين، الاصحاح الحادي عشر، كنيسة الانبأ تكلا هيمانوت – الاسكندرية – مصر، المقاطع ١ – ٩.

[2] بول ريكو، عن الترجمة، ترجمة : حسين حمري، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٨،ص ٣٢.

زيد بن ثابت قال:" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أتحسن السريانية؟ إنها تأتيني كتب" قال: قلت: لا، قال: "فتعلمها" فتعلمتها في سبعة عشر يوماً[1].

ولدت الترجمة الفرنسية للقرآن عام 1647 عن طريق دي ريير (De Ryer)[2]، وهي من أشهر الترجمات الأوروبية التي أعيد نشرها سبع مرات خلال قرنين السابع عشر والثامن عشر، التي أصبحت قاعدة لترجمات أخرى إنجليزية وهولندية وروسية، مع الإشارة أنها كانت بعيدة كل البعد عن النص العربي الأصلي، لكن الوضع تغير مع ميلاد مناهج جديدة تبناها المترجمون الجدد، أمثال جورج سيل (G.sale)[3] وقد اعتمد هذا الأخير على النص العربي مباشرة غير أن يوهان فوك المتخصص بالدراسات الإستشراقية أكد اعتماده في ترجمته للقرآن[4] على مرتشي[5].

---

(1) أسد الغابة ج2 ص222، وعنه في قاموس الرجال ج4 ص239، وتنقيح المقال ج1 ص462، ومكاتيب الرسول ج1 ص21 عنه أيضاً، للمزيد ؤاجع موقع https://www.mezan.net/sayed. تاريخ الدخول 2021/11/17

(2) دي ريير بالفرنسية "André Du Ryer " (1580 – 1660 م) هو مستشرق ودبلوماسي فرنسي، كان قنصلاً عاماً لفرنسا في مصر .أتقن العربية والتركية والفارسية. للمزيد راجع https://areq.net/m تاريخ الدخول 2021/11/17

(3) جورج سيل ، بالإنجليزية(George Sale): (1736–1697م) هو مستشرق إنجليزي ومحامي ولد في عام 1697 م والذي عرف عنه ترجمته لمعاني القرآن الكريم باللغة الإنجليزية سنة 1734 م، وهو أيضا كاتب للمعجم المسمى بالمعجم العام – The General Dictionaryوالموجود على شكل سجلات في عشر مجلدات للمزيد راجع موقع https://www.marefa.org/ تاريخ الدخول 2021/11/17.

(4) يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، الدراسات العربية والاسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين، ترجمة عمر لطفي العالم، ص 106).

(5) لويجي مرتشي(1612–1700) هو كاهن كاثوليكي و مستشرق إيطالي، اشتهر بترجمته للقرآن إلى اللاتينية، وقد اعتمد جورج سيل على هذه الترجمة في ترجمته القرآن للإنكليزية. https://ar.unionpedia.org/ تاريخ الدخول 2021/11/17

وقد تحدث الدكتور أحمد درويش عن نشأة حركة ترجمة القرآن الكريم، وعن نظرة وآراء أبرز أعلام المستشرقين الفرنسيين فيما خص التراث العربي، كأمثال أندريه ميكيل وبلاشير وقد نقله آرائهم ونظرتهم فيه، في كتابه الاستشراق الفرنسي والأدب العربي.

حيث بدأ درويش بعرض نظرة أندريه ميكيل (المولود في أيلول 1929)، تحت عنوان نظرة شاملة للأدب العربي لأندريه ميكيل والقرآن الكريم وهي كالتالي:

يعتبر ميكيل أن **القرآن** لم يخلق لا اللغة ولا الأدب العربي، ومع ذلك فإنه من خلال الإنفجار الرعدي والأصداء اللامتناهية التي ولدها (القرآن الكريم)، فقد جدد وبنى ونشر اللّغة القديمة ومجد آدابها، وخلق بالمعنى الكامل للكلمة هذه المرة الحضارة.

كذلك فإن **القرآن** – اللغة المعجزة– استخدم اللغة العربية للتبليغ الواسع والعظة، وهو أيضاً يحمل دلالات هامة وخاصة، فقد أعطيت إذاً (اللغة العربية) طابع القداسة وعليه إن **اللغة العربية** منحت قدسية وسمو ورفعة باعتبارها ناقلة للوحي، وبدأت العلائم منذ البداية أن العاميات والتعبيرات السائدة تجرد منذ البداية من كل علائم النبل الممكنة، فالواقع أن القرآن الكريم أصرّ منذ البداية على تأكيد الأصالة المطلقة للنص القرآني، ويتابع الدكتور درويش عن ميكيل، حيث يعتبر أن المناقشة بين **القرآن الكريم** والشعر لم تتم ولا يمكن أن تتم، أولاً من الناحية الشكل لأن القرآن ليس شعراً، والّذين وصف محمداً بأنه شاعر أو حالم، عارضهم القرآن بكلمات ترمز إلى الحقيقة والتبشير والوحي والنبوة، وعلى الرغم من انتصار القرآن على الشعر باعتبار الأخير في منحصر في المجال الدنيوي بلا حسيب ولا شريك، لكن استفادة الشعر من كل هذا، إعتبار اللغة العربية لغة الوحي فيكون بذلك تلقى نصيباً من القداسة، وأما بالنسبة للنثر، فالأمر مختلف ، حيث

مـن غيـر المهـم أن يكـون القـرآن نثـراً أم لا مـن الناحيـة التاريخيـة الأول مـن نوعـه، لكـن كمـال الـنص الإلهـي، طرحـت التحـدي الكبيـر وبشـكل إعجـازي، مـن خلالـه سـموّه، عـن كـل محاولـة لغويــة بشــرية وصــعوبة بــل اســتحالة تحقيقــه فــي وقــت واحــد (القــرآن)، ممــا يجعــل النثــر البشــري وظيفــة توضــيحية أو قصصــية أو ســردية، ليكــون إذا حالفــه الحــظ انعكــاس لــذلك الضوء المطلق الذي يرمز إليه القرآن[1].

وسيعرض الباحث بعض آراء المستشرقين فيما ما خص القرآن، وعلى سبيل المثال:

يقـول جـورج سـيل فـي مقدمـة ترجمـة الإنكليزيـة لمعـاني القـرآن الكـريم التـي صـدرت عـام 1736م : " أمــا إن محمــد فــي الحقيقــة مؤلــف القــرآن، والمختــرع الرئيســي لــه فــأمر لا يقبـل الجـدل، وإن كـان مـع المـرجح المعاونـة فـي ذلـك التـي لـم تكـن يسـيرة، وهـذا واضـح فـي أن مواطنيه لم يتركوا الاعتراض عليه[2] .

ويــرى ريتشــارد دبــل مؤلــف كتــاب " مقدمــة القــرآن"، أن النبــي قــد اعتمــد فــي كتابتــه القــرآن الكريم على الكتب المقدسة وخاصة العهد القديم من القصص[3].

وصــوّر نورمــال دانيــال، القــرآن الكــريم بأنــه ينــاقض بعضــه بعضــاً، وغيــر منســجم فــي محتواه [4].

---

[1] أحمد درويش، الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، مرجع سابق، ص 56 – 57، 61-62.

[2] إبراهيم عبدالكريم عبدالله، آراء المستشرق ريجيس بلاشير في الوحي المكي والمدني، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف الدكتور محمد زين الدين العابدين الطشو، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كلية الدعوة بالمدينة المنورة – قسم الاستشراق، المملكة العربية السعودية، 1414هـ، من مقدمة الرسالة ص (ا)

[3] إبراهيم عبد الكريم عبدالله، مرجع سابق، ص 2.

[4] عرفان عبد الحميد، المستشرقون والإسلام المكتب الإسلامي، بيروت – دمشق، ط3، ص 10.

وأما المستشرق الفرنسي بلاشير الّذي يعد من أعلام المستشرقين الفرنسيين فقد قال في كتابه (القرآن): " توضح لنا التجربة الأولى للنبي الجديد، أنه ما يزال تحت وطأة النداء الإلهي، يلازم خياله تصوره للكارثة الأرضية التي ستقضي على العالم" [1].

وقد بحث بلاشير في كتابه (القرآن)، موضوعات عدة منها: "المصحف وبنيته وتكوينه، الرسالة القرآنية في مكة، الرسالة القرآنية في المدينة، الواقعة القرآنية وعلوم القرآن، التفسير القرآنية وأصوله وأغراضه، القرآن والسنة كمصدرين للعقيدة والشريعة في الإسلام[2].

إن بلاشير لا يؤمن بالوحي الذي أنزل على النبي محمد (صل الله علية وسلم)، كما يتضح في مقدمة كتابه (القرآن) قائلاً:" إننا نجد وجداً من المظاهر الثابتة للفن القصصي والشعري في العالم السامي عامة، وعند العرب خاصة"، هنا يريد بلاشير أن يثبت أن القرآن في الفترة المكية قد تأثر بالشعر والقصص وقد رأى بلاشير لكي تبلغ الدعوة غايتها، كانت ترجع إلى قصص وأساطير معروفة بل إلى قصص قومية وقصص مأخوذة من التوراة [3] .

ولا بد من الإشارة إلى الشبهات الثلاث التي طرحها بلاشير وهي:

1- تأثر القرآن الكريم في فترته المكية بالقصص القومية والقصص التوراة.

2- تأثره بالشعر

3- تأثره بالأساطير.

---

[1] راجع كتاب بلاشير "القرآن"، ص: 45-46.

[2] إبراهيم عبد الكريم عبد الله، مرجع سابق، ص 11.

[3] بن حدو سعاد، قيطون نعيمة، الإستشراق وأثره في الحضارة العربية الإسلامية، رسالة ماجستير في اللغة والأدب العربي، مرجع سابق، ص: 37.

ولـيس ضـمن مجـال الباحـث الـرد علـى هـذا الشُـبهات فـي هـذه الرسـالة، لأنهـا لـيس ضـمن موضـوع بحثنـا، إلا أنّـه وجـب الـرد بشـكل عـام عليهـا، حيـث أن هنـاك قصـص ذكـرت فــي الكتــب الســابقة ولــم يــذكرها القــرآن، وهنــاك قصــص ذكرهــا القــرآن ولــم تــذكرها الكتــب السـابقة، وإن القصـص القوميـة التـي وُجـدت فـي التـوراة ويتفـق معهـا القـرآن الكـريم، فإنهـا فـي القـرآن الكـريم موجـود مـع تفصـيلها وجزئياتهـا وأحـداثها وحقائقهـا، التـي لـم تكـن موجـودة، حيـث أن القـرآن الكـريم نفسـه يحـل المسـألة ويطلعهـم علـى الحقيقـة، يقـول تعـالى :" ويعلمكـم مـا لـم تكونـوا تعلمـون" [1]، ويقـول تعـالى لرسـوله الكـريم:" تلـك مـن أنبـاء الغيـب نوحيهـا إليـك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا"[2].

ويقــول الــدكتور فضــل حســان عبــاس رداً علــى المستشــرقين " فهــذان الكتابــان (أي التوراة والإنجيل)، لم يُترجما إلى العربية إلا بعد عدة قرون من بعثة النبي". هذه أولاً.

ويقــول مــوريس بوكــاى[3] : هنــاك إختلافــات جليــة بــين قصــص التــوراة والقــرآن، خاصــة بعـد المقارنــة بينهمــا، لجهــة الصــياغة مــن نسـق عــالٍ للبيــان والحكمــة، والبعـد عــن التفصيلات الأسطورية، وهي فارق بين البيان الرّباني والبيان البشري[4].

لقـد سَـلك بلاشـير وغيـره مـن المستشـرقين نفـس الطريـق حيـث ادعـوا أن القـرآن الكـريم تـأثر بالشعر، وقد رد عليهم ميكيل هذا الادعاء كما تم ذكره آنفاً.

---

(1) سورة البقرة، آية 151.

(2) سورة هود، آية 49.

(3) موريس بوكاي هو طبيب فرنسي نشأ على المسيحية الكاثوليكية وكان الطبيب الشخصي للملك فيصل بن عبدالعزيز، قام بدراسة الكتب المقدسة عند اليهود والمسلمين، وألف كتاب التوراة والأناجيل والقرآن بمقياس العلم الحديث وترجم إلى سبع عشرة لغة منها العربية. للمزيد راجع موقع https://www.marefa.org/ تاريخ الدخول 2021/11/17

(4) إبراهيم عبدالكريم عبدالله، آراء المستشرق ريجيس بلاشير في الوحي المكي والمدني ، مرجع السابق، ص: 40.

ويبدو من دراسة مناهج المستشرقين في القرآن الكريم:

1- الصنف الاول: وهو الصنف الأكاديمي الذي درس الاستشراق دراسة منهجية في الجامعات والمراكز العلمية، هؤلاء عليهم التعصب ولهم أهداف مسطرة من قبل الحكومات والحركات التبشيرية المتعددة.

2- الصنف الثاني: وهم الذين يكتبون عن الإسلام والشرق وهم قسمان:

أ- قسم أرادوا أن يحققوا أهدافاً معينة فيها انتقاص من الإسلام وأهله، ولهذا وجد الباحث في دراساتهم العشوائية والبعد عن المنهج العلمي، ويبدو الحقد فيها واضحاً.

ب- قسم لم يضع مسبقاً أهدافاً معينة وهم قلة ولا يزال في نفوسهم بغض للإسلام وأهله[1].

إن عدم أخذ الإسلام من مصادره الأصلية، الكتاب والسنة أو من العلماء المسلمين والمعتمدين وإنما اعتمدوا في دراساتهم ما كتبهم من سبقهم من المستشرقين ولهذا صار عندهم أعلام ومفكرون كثيراً عن الإسلام واعتمدت آرائهم ومن هؤلاء كولدتسهير وشاخت وغيرهما، مما جعل أغلب دراساتهم تتسم بالنقص والتشويه والبعد عن المنهج العلمي المعهود[2].

---

[1] عبد القهار عبد الواحد، الاستشراق والدراسات الإسلامية، دار الفرقان، عمان،2000، ص 57

[2] المرجع نفسه، ص 57.

وفي هذا السياق يقول ادوار سعيد في تفسيره لكلمة الترجمة : " كلمة ترجمان العربية هي الأصل الدقيق الذي اشتقت منه كلمة ترشمان الفرنسية وتعني المترجم او الوسيط او المتحدث باسم غيره [1].

وأما فيما يتعلق بمعنى الترجمة باللغة العربية:

1- تبليغ الكلام لمن لم يبلغه.

2- تفسير الكلام بلغته التي جاء فيها.

3- تفسير الكلام بلغة غير لغته

4- نقل الكلام من لغة إلى أخرى.

وقيل:" الترجمان بالضم والفتح هو الذي يترجم الكلام اي ينقله من لغة إلى أخرى والجمع تراجم" [2]

وأما الترجمة التفسيرية : فهي شرح الكلام وبيان معناه بلغة أخرى ، بدون مراعاة لنظم الأصل وترتيبه ، وبدون المحافظة على جميع معانيه المراد منه » [3].

إن الترجمة تقوم بنقل جزء من المعنى وليس كله، والسبب يكمن في خصوصية الخطاب القرآني، لذا تمسك بعض المسلمين بأن القرآن لا يمكن ترجمته ، إذ « لا شبهة في أن القرآن الكريم اسم للنظم العربي الذي أنزل على سيدنا محمد بن عبد الله صلوات

---

[1] – ادوار سعيد، الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦، ط١، ص٢٧٠.

[2] محمد عبد العزيز الزرقاوي، مناهل المعارف: في علوم القرآن، دار الفكر، ط١، بيروت، ج٢، ص ٧٨ – ٧٩.

[3] محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، مكتبة مصعب بن عمير الإسلامية، ٢٠٠٤، ج١، ص ١٩.

الله وسـلامه عليـه وعلـى آلـه ، ولا شـبهة أيضـا فـي أنـه إذا عبـر عـن معـاني القـرآن الكـريم يعـد فهمهـا مـن الـنص العربـي بأيـة لغـة مـن اللغـات لا تسـمى هـذه المعـاني ولا العبـارات التـي تؤدي هذه المعاني قرآنا [1].

ويقـول نـديم إليـاس الـذي ذكـر : « أسـاليب الافتـراء علـى الـنص القـرآن مـن خـلال الترجمـة مـع بيـان أمثلـة لهمـا مـن واقـع الحيـاة فـي ألمانيـا، اكتفـى هنـا بـذكر بعـد طرقهـا، وهـي الاقتبـاس الجزئـي المخـل للصـورة الشـاملة، ونـزع آيـات مـن سـياقها العـام أو الخـاص، و منهـا اسـتنتاج حكـم عـام مـن آيـات مخصصـة للحكـم، ومنهـا أيضـا تجاهـل أسـباب النـزول والناسـخ والمنسـوخ ، هـذا وقـد أدت تلـك الهجمـات المغلوطـة إلـى تجـدد الشـبهات حـول الإسـلام والقـرآن والتـي تـدور حـول آيـات الجهـاد والقتـال فـي القـرآن وأحكـام المـرأة فـي القـرآن ونظـرة القرآن للآخر وموضوع حرية العقيدة والتسامح » [2].

- **الدراسات الإسلامية والعربية:**

إن الإسـهام الفرنسـي فـي الدراسـات العلميـة بشـكل عـام بمـا فيهـا التاريخيـة والإسـلامية غزيـر ومتنـوع، وهـو يأخـذ أحيانـاً دائـرة المجهـود الجمـاعي وأحيانـاً أخـرى بشـكل المجهـود الفـردي المتميّـز، ولا شـك أنـه مـن أهـم مـا أثمـر العمـل الجمـاعي للمستشـرقين، فكـرة الموسـوعات العامـة أو دائـرة المعـارف الإسـلامية وكانـت أقـدم صـورة لتنفيـذ هـذه الفكـرة فـي

---

(1) محمد صالح بنداق، المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، منشورات دار الافاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٨٣، ص ٨٠.

(2) محمود حجاج رشيدي، مناهج المستشرقين الألمان في ترجمة معاني القرآن الكريم، في ندوة: القرآن في الدراسات الاستشرافية، ٢٠٠٦/٧/١١، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ص ٩.

القرن السابع عشر ميلادي، ممثلاً في العمل الموسوعي الذي أقدم عليه إيربلو وأسماه المكتبة الشرقية "la Bibliotique oriental"، والذي أسهم معه وأتمه أنطوان جالون، مترجم ألف ليلة إلى الفرنسية، وقد صدرت فكرة العمل الموسوعي أيضاً في القرن التاسع عشر ميلادي، حيث أثمر المؤتمر الذي انعقد في جنيف عام 1894 (مؤتمر المستشرقين) عن فكرة إنشاء دائرة المعارف الإسلامية "l'Encyclopédie d' Islam"، وأسند الإشراف على هذه الموسوعة المستشرق الفرنسي باسييه[1]، والإنجليزي أرنولد والألمانيين هوسما وهارتمان، وتم إنجاز هذا العمل الضخم بثلاث لغات: الفرنسية والإنجليزية والألمانية في أربعة مجلدات، غير أن وفرة الدراسات عن الشرق التي ظهرت في القرن العشرين دفعت مؤتمر المستشرقين المنعقد في باريس عام 1948 إلى إقرار الحاجة إلى طبعة جديدة من دائرة المعارف الإسلامية، وأسند الإشراف عليها إلى المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال [2]، وخلفه المستشرق الفرنسي شارل بيلا، وشرعت مصر في ترجمة الطبعة الأولى من دائرة المعارف الإسلامية عام 1933، من خلال جهد علمي دقيق قام به إبراهيم خورشيد وأحمد الشتاوي وعبدالحميد يونس، وشاركهم طائفة كبيرة من العلماء المتخصصين في التعليق على مادة الترجمة، ولا تزال هذه

(1) رينيه باسِّيه بالفرنسية(René Basset: 1271-1342) هـ / 1855 - 1924 م) هو مستشرق فرنسي .من أعضاء المجمع العلمي العربي من آثاره: «الشعر العربي قبل الإسلام» (باريس 1880 م). كما اشترك في اللجنة الأولى التي أصدرت دائرة المعارف الإسلامية، للمزيد راجع موقع https://3rabica.org/ تاريخ الدخول 2021/11/17

(2) فاريست لافي بروفنسال(بالفرنسية)Évariste Lévi-Provençal : هو مؤرخ، وكاتب، من المستشرقين، ومختص في علوم إسلامية ,فرنسي ولد في عام1894، وتوفي عام 1956 للمزيد راجع موقع https://www.marefa.org تاريخ الدخول 2021/11/17

الموسوعة تشكل مصدراً أساسياً من مصادر الدراسات العربية والإسلامية ، وتقدم نموذجاً عن المجهود الذي بذله المستشرقون في هذا المجال[1].

ولقد بدأ التبادل الثقافي بين العرب والغرب يحظى بالتعرف على الاسلام بموضوعية حيث ومما قال سي حمزة بو بكر عن ترجمته للقرآن حول بعض الباحثين الغربيين الذين انصفوا الإسلام ما يلي :" فاستقامتهم ونزاهتهم الفكرية وتقديرهم للقيم الاسلامية، قاد طبعاً إلى فحص وتحليل واقع الإسلام وذلك بدون اراء مسبقة... ودون ميل او انحياز... بفضل صدقهم وعلمهم، وإخلاصهم، مما عزز القدرة على التفاهم وتخطي المجادلات العميقة"، واما رينان في كتابه حياة المسيح يقول: حقاً ان لسيرة محمد العربية مثل سيرة ابن هشام، ميزة تاريخية اكبر من الإنجيل، وهذا يكفينا رداً على المستشرقين الذين يبتعدون عن الصورة الواقعية التي رسمتها كتب السيرة القديمة [2].

ومن المواضيع التي تناولها المستشرقون أيضاً فيما خص الدراسات الإسلامية هو "موقفهم من النبي محمد صلى الله عليه وسلم، "لقد غدت شخصية محمد – صلى الله عليه وسلم مطلباً مهماً ومحوراً تدور عليه الروايات المسيحية، إذ تناولته بغرابة شديدة من جوانب عديدة، وتفاقمت الحاجة إلى إنتاج أدبيات حوله، كما – انطبق الأمر ذاته على القرآن– فهذه الدراسات تسعى جاهدة من مصادرها غير الموثوق بها، أن تتناول شخصيته صلى الله عليه وسلم – بمعلومات غير صحيحة فإن كل الدلائل تشير إلى أن

---

[1] أحمد درويش، الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، مرجع سابق، ص (23–24).

[2] ايتين دينيه، سليمان بن ابراهيم، محمد رسول الله، ترجمة محمد عبدالحليم، دار المعارف، القاهرة،١٩٨٦، ص ٣٩.

الدراسات الأوروبية قديماً وحديثا قد رسخت في عقول وأذهان الأجيال اللاحقة صورة ذهنية أو نمطية سلبية عن خاتم النبيين، وهي بالتأكيد - صورة مشوهة، وذلك بقصد تشويه الإسلام في مقابل تثبيت عقيدتهم المسيحية، ولكن كلمة حق تقال، فهناك بعض من المستشرقين الذين أنصفوا إلى الإسلام ومنهم زيجريد هونكه حيث قالت : " لقد عرف الغرب قصص بشعة تقشعر لها الأبدان، عن أولئك الناس الذين استقروا خلف جبال البرانس في قرطبة، التي رغم أنها كانت مقر سلطان عبدة الشيطان ومحضري أرواح الموتى والسحرة وأصحاب التعاويذ واعمال السحر الأسود، والذين حذقوا هذا الفن واستحوذ عليهم الشيطان، تحرسهم فيالق من زبانية الشياطين [1].

تلك هي أهم المعلومات الكاذبة وغير الصحيحة التي غذت الأدبيات المسيحية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وزودت فيما بعد الأعمال الاستشراقية وحتى التي تدعي العلمية التي ليست بمعزل عن هذه الأفكار والآراء التي انتجت ما يسمى " أسطورة النبي محمد"

إن المعدل الرهيب من الأكاذيب التي ساقها الكتاب البيزنطيون والاوروبيين قد بدأ منذ إثني عشر قرناً عن موضوع النبي محمد الذي أصبح اكبر أعداء الأوروبيين، كما كان الهجوم عليه على الصعيد الإيديولوجي او الدعائي" [2] .

---

[1] زيجريد هونكه، الله ليس كذلك، ترجمة غريب محمد عريب، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥، ص ١١.

[2] عبد الرحمن البدوي، دفاع عن محمد صل الله عليه وسلم ضد المنتقصين من قدره، ترجمة: كمال جاد الله، الدار العالمية للكتاب والنشر ص ٣.

وأما على الصعيد الفردي (الاستشراق الفرنسي) فهي كثيرة ومتنوعة، أمثال "سيديو"[1]حيث كتب عن "خلاصة تاريخ العرب"، ودراسة لوبون[2] عن "حضارة العرب"، ودراسة فيت (الذي أقام في مصر ربع قرن) عن " مصر العربية من الفتح العربي إلى الفتح العثماني"، ودراسة بروفنسال عن " تاريخ إسبانيا الإسلامي"، وهنري لاوت عن " إبن تيمية" وغيرهم [3].

إن من محاسن المستشرقين إدخال المنهج العلمي على الدراسات الإسلامية والعربية، وهذا المنهج قائم على الإحاطة والموازنة والترتيب والاستنباط لبلوغ الحقيقة، وقد طبقه المستشرقين على علومنا وآدابنا وفنونا، تطبيقاً صحيحاً، وأتقنوا أمهات اللّغات السامية أو آرييه، وتخصص الواحد منهم بلغة أو دين أو علم أو ادب، أو فن أو سلالة أو عصر أو أديب، وبما أنهم دخلاء على التراث (الشرقي) فقد اصطنعوا التمحيص والدقة فيه، لعلمهم أن الأخطاء الفاحشة فيه تنال من أقدارهم عند الشرقيين وتصرف الأنظار عنهم، وربما ينقضي عمر أحدهم في تحقيق مخطوطة أو تصنيف كتاب أو موسوعة دون كلل أو ملل، لقد أعان رجال الاستشراق على أصالة بحوثهم أنهم وقع لهم من كنوز التراث الشرقي ما لم يقع على أهله وأصحابه، فانتقلت إلى خزائن الغربيين (خاصة الفرنسيين كما ذُكر سابقاً)، ومن هنا انكبوا عليها وأطالوا البحث فيها[4].

---

(1) هو لوي سيديو (1808-1875م)، مستشرق فرنسي صاحب كتاب histoir de arab خلاصة تاريخ العرب https://3rabica.org/- تاريخ الدخول 2021/11/17

(2) هو جوستاف لوبون (1841-1931)، طبيب ومؤرخ فرنسي، وكتب في علم الانتروبولجيا وعنى بالحضارة الشرقية.https://www.marefa.org/ تاريخ الدخول 2021/11/17

(3) أحمد درويش، الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، مرجع سابق، ص 24

(4) علي حسن الخربوطلي، المستشرقون والتاريخ الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1988، ص 124-125

لقد اهتمت الدراسات الاستشراقية بالحضارة الإسلامية سواء كان ذلك عن النظم والمؤسسات أو عن الحياة الفكرية والعلمية (الدراسات الإسلامية)، فقسم من المستشرقين أنصف التراث العربي الإسلامي وأثره على الغرب (أوروبا) في عصور النهضة بالذات، والقسم الآخر حاول تقليل من إنجازات المسلمين العلمية والحضارية، فادّعوا أن علماء الإسلام مجرد نقلة وحفظة للتراث الأقدم، وإذا كان هناك إضافات جديدة، لا تصل إلى الابتكار او الاختراع، فاليونان هم اساتذة العرب، ولا أثر للعرب على أوروبا، وليس لديهم أي فضل، ومنهم من ذهب إلى أبعد من ذلك، حين ادعى أن العرب المسلمين أتقنوا أصناف من المعرفة لا تحتاج إلى المنطق والتفكير، لأن العربي عاجز عن استخراج أو استنباط أفكار جديدة، وإن ما يتقنه هو النقل والتقليد ولا يمكن أن يكتشف معادلات هندسية حسابية أو يستنبط أفكار كيماوية أو فيزيائية[1].

لقد بدأت عملية تشويه صورة الإسلام في أوروبا ثقافياً فعلياً منذ فشل الحروب الصليبية، حيث اشتد الصراع الثقافي بأمر من قيادة الكنيسة آنذاك في العصور الوسطى ضد الإسلام، وذلك بعد وصول الخطر الإسلامي إلى حافات أوروبا الشرقية والجنوبية[2].

---

(1) فاروق عمر فوزي، الاستشراق والتاريخ الإسلامي، الأهلية للنشر، المملكة العربية الهاشمية – عمان، 1998، ط1، ص 161

(2) أحمد درويش، الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، مرجع سابق، ص (161،162).

ثانياً- فيما خص اهتمام المستشرقين في الدراسات التاريخية والفلسفية:

تاريخياً إن الحوار بين العربية والعالم يصمت أو يخفت، ثم يتجدد من خلال تاريخ النشاط والوقوف ضد المستعمرين، وقد تمثل ذلك في البداية مع حملة بونابرت في مصر، ثم في وجه الإنكليز والفرنسيين حيث لم يكن هذا النشاط من أجل الحصول على الاستقلال السياسي والاقتصادي، أو للدور الاستراتيجي للموقع أو بسبب التأكيد على الثروة الباطنية وغيرها، بل يسعى هذا النشاط (أي عدم الرضوخ للمستعمرين ومقاومتهم) إلى إعادة اكتشاف الهوية بل إلى إعادة بناء هوية جديدة تتفق مع التاريخ الحاضر والبعيد العميق [1].

إن النموذجية العربية في مواجهة الاستعمار لم تكن كباقي الحضارات الأخرى التي رضخت للمحتل أو المستعمر، حيث أنها تمتلك التاريخ المشترك وتقاليد علمية مشتركة واللّغة المكتوبة.

ولا بد من الإشارة إلى عناية الأوروبيين **وخاصة الفرنسيين بالمخطوطات العربية** وطلبها على الدوام والعمل على الاستحصال عليها ثم ترجمتها ودراستها من قبل المستشرقين للوقوف على التراث العربي بكل ما يحمله من كم هائل من الدراسات العلمية والاسلامية

---

[1] أحمد درويش، الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، مرجع سابق، ص 67.

والتاريخيــة والفلسـفية، وبـالعودة إلــى القـرن الثـاني عشـر مـيلادي، فقـد أعطـت فتـرة الحـروب الصليبية منفذاً هاماً وجديداً نحو معقل المخطوطات العربية[1].

بـل كانــت هـذه **المخطوطـــات** هـدفاً هامــاً لـبعض الغـارات الصـليبية حيـث يـروي الفـارس العربــي أسـامة بـن منقـذ (1188-1095) فــي سـيرته الذاتيـة " الاعتبـار" (الـذي قـام بتحقيقهــا فيليــب حتـــي "ص 25 ") فيقــول المنقــذ عنــدما اســتولى الصــليبيون علـــى قافلتــه المســافرة مـن مصـر إلــى الشـام :" فهّـون علــيّ سـلامة أولادي وأولاد أخــي....إلاّ مـا ذهـب لــي من كتب فإنها أربعة آلاف مجلد من الكتب الفاخرة، فإنها حزازة في قلبي ما عشت".

وازدادت حركــة البحــث عـن المخطوطــات العربيــة (التــي كانــت تحتـوي علــى العلــوم والدراســات الإســلامية والطــب والجغرافيــة وحتــى التــاريخ وغيرهــا..) وتصــنيفها فــي فرنســا فــي القـرون التاليـة (فــي القـرن السـابع عشـر والثـامن عشـر مـيلادي)، فقـد كـان الـوزير الشــهير كـوليير يقـوم بشـراء المخطوطـات العربيـة مـن إسـتنبول عبـر معتمديـه فـي الشـرق لتـزود مكتبـة الملـك لـويس الرابـع عشـر فيهـا، وقـد تعـددت البعثـات خـلال القـرن الثـامن عشـر، منهـا بعثـة بـول لوقـا، وبعثـة بتـى دى لاكـروا، وبعثـة أنطـوان جـالون وغيـرهم، وقـد واكـب عمليـات الجمـع والتصــنيف دراســات علميــة للمستشــرقين الفرنســيين عــن علــوم المخطوطــات العربيــة ومــن أشهرها كتاب بلاشير وسوفاجيه " قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها" [2].

---

[1] تم ذكره سابقاً عن الفتح العربي والمد الإسلامي في أوروبا والتصادم مع فرنسا الذي نتج عنه تمازج ثقافي هام، نتج عنه ما يسمى ولادة الأدب الفرنسي جراء هذه العملية، اضافة الى التواجد العربي الاسلامي في الأندلس حتى منتصف القرن الخامس عشر ميلادي.

[2] أحمد درويش، الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، مرجع سابق، ص :22.

وأمـا فيمـا خـص اهتمـام المستشـرقين فـي الدراسـات التاريخيـة والفلسـفية أيضـاً، فلقـد اهتمـوا علـى صـعيد الدراسـات الإسـلامية فـي مجـال الـنظم والمؤسسـات الإسـلامية، فبـدأ المستشـرقون بطـرق هـذا البـاب منـذ عهـد مبكـر، فكتـب كـارل بيكـر[1] عـام 1915م عـن مؤسسـة الخلافـة ثـم أردفهـا بكتابـة (الدراسـات المحمديـة) ، وعـن تـاريخ الـنظم الاجتمـاعي والاقتصـادي فـي الإسـلام عـام 1924، وكتـب ميـور[2]عـن مؤسسـة الخلافـة ظهورهـا وتـدهورها وسـقوطها، وأمـا جوتين Goitein [3] فكتب عن الوزارة العباسية[4].

كمـا درس (المستشـرق الفرنسـي) ماسـينيون نظـام الفتـوة، وبرنـارد لـويس (المـؤرخ الانجليـزي) نظـام الأصـناف والحـرف فـي الإسـلام، وكتـب فارمر(مستشـرق بريطـاني باحـث فـي مجـال الموسـيقى) عـن الموسـيقى الإسـلامية (1929م)، وكرزويـل (مستشـرق بريطـاني وعـالم آثـار) عـن العمـارة الإسـلامية (1933م)، وكـاهين (مستشـرق فرنسـي متخصـص فـي التـاريخ الإسـلامي) عـن نظـام الإقطـاع فـي الإسـلام، وتنـاول لوكهـارت ودينـت الضـرائب فـي الإسلام[5].

وقـد خـاض المستشـرقون فـي التـاريخ الإسـلامي وألقـوا الشـبهات يمنـاً ويسـراً، حيـث يـدعي عـدد مـن المستشـرقين أن الخـلاف حـول اختيـار خليفـة رسـول الله صـلى الله عليـه

---

[1] هو مؤرخ وكاتب أمريكي (1873–1945). للمزيد راجع موقع https://www.hindawi.org/contributors تاريخ الدخول 2021/11/17

[2] جون موير مؤرخ أمريكي (1838–1914). للمزيد راجع موقع https://areq.net/m/ تاريخ الدخول 2021/11/17

[3] هو شلومو دوف جويتين مؤرخ يهودي–ألماني (1900–1985)، عرف بأبحاثه عن اليهود والمجتمعات اليهودية في ظل الدولة الاسلامية في القرون الوسطى.للمزيد راجع موقع https://www.iicss.iq تاريخ الدخول 2021/11/17

[4] فاروق عمر فوزي، الإستشراق والتاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ص 163.

[5] أحمد درويش، الإستشراق الفرنسي والأدب العربي، مرجع سابق ، ص 164.

وسلم كـان البـذرة الأولـى لظهـور الشـيعة طـاعنين فـي صـحة خلافـة أبـي بكـر وعمـر وعثمـان رضـوان الله علـيهم أجمعـين، مـع التشـكيك فـي شـرعية خلافـتهم، متـأثرين فـي ذلـك بمـزاعم مـن سـبقهم مـن الشـيعة، وهـذه الآراء كانـت تـدعي بـأن مسـألة خلافـة النبـي صـلى الله عليـه وسـلم كانـت سـبب ظهـور فرقـة الشـيعة، و يـزعم المستشـرق " جولـد زيـر أن التشّـيع نشـأ بـين كبـار الصـحابة منـذ بـدأت مشـكلة الخلافـة، فحـزب نقـم علـى الطريقـة التـي انتخـب بهـا الخلفـاء الثلاثـة الأول وهـم أبـو بكـر وعمـر وعثمـان الـذين لـم يـراع فـي انتخـابهم درجـة القرابـة مـن أسـرة النبــي. مــع أن الأولــى بالمستشــرقين تأييــد مبــدأ الانتخابــات كمــا هــو حــادث فــي معظــم الانتخابات الغربية المعاصرة دون النظر الى درجة القرابة و الوراثة [1].

وأمــا بالنســبة لاهتمــام المستشــرقين **بالفلســـفة العربيـــة والإســـلامية**، فقــد ظهــرت الفلســفات الوضــعية التــي تتابعــت علــى المســرح الأوروبــي، فهــذا الفيلســوف رينــان[2] يبشــر بفلسـفة عنصـرية عرقيـة مفادهـا أن العقـل الأوروبـي عقـل علمـي مركـب بينمـا العقـل العربـي هـو عقـل سـامي سـاذج معـادي للعلـم والفلسـفة، وبهـذا يجتمـع رينـان العنصـري مـع ريمونـدلل المبشــر المســيحي المتعصــب فــي كرههمــا للحضــارة الإســلامية، ولا يــرى روزنتــال وجــود لفلسـفة سياسـية إسـلامية ذلـك أن الفقهـاء لـم يسـألوا مـاذا لـو كـان؟ ومـاذا يكـون؟ بـل اهتمـوا بتطبيق الشريعة على الأمة[3].

---

(1) محمد بن سعيد بن عبدالله السرحاني، الموقف الاستشرافي من خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه وأثرها في ظهور الشيعة دراسة تحليلية، مجلة جامعة ام القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، عدد ٥٤، محرم ١٤٣٣ هجري، ص 210.

(2) هو أرنست رينو (1823–1892)، مؤرخ وكاتب فرنسي إشتهر بنقد المصادر الدينية نقداً تاريخياً علمياً وإلى محاولة التمييز بين العناصر التاريخية والأسطورية في الكتاب المقدس، ولقد لقي معارضة من الكنيسة الكاثوليكية.

(3) فاروق عمر فوزي، الاستشراق والتاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ص 163.

ثالثاً- في الأدب العربي ونقده:

لقد بذل العرب جهد كبير لصناعة معاجم عربية حديثة، من أجل سد الثغرات موجودة في المعاجم العربية القديمة، وذلك بما يتناسب مع مقتضيات العصر، فلكل جيل من الأجيال بصمته الخاصة وشخصيته، وإن القرن التاسع عشر هو قرن ميلاد اللسانيات وما رافقها من تطوير في المعجمية، وقد استفاد المستشرقين من هذا التطورات العلمية واللّغوي في الغرب وحاولوا تطبيقها على المعاجم العربية، وقد قال إبراهيم مدكور بدقة متناهية في تصديره للطبعة الأولى من المعجم الوسيط ويقول فيه:" والمعجم العربي القديم على غزارة وتنوع أساليبه، أضحى لا يوجه تماماً حاجة العصر ومقتضياته، ففي شروحه غموض، وفي بعض تعاريفه خطأ، وفي تبوبه لبس.." [1]

يَقول فيشر : "كانت عربية ما قبل الفصحى أي لغة الساميين في الجزء الشمالي من شبة الجزيرة العربية، التي رويت في المقام الأول في نصوص الشعر ما قبل الإسلام، والشعر الإسلامي المبكر، قد تأثرت بلا شك بثقافات أجنبية ولغاتها، ومن ثم فان قسم كبير من الثروة اللغوية قد ورث عن السامية المشتركة[2].

إن اللغة العربية التي تحدث بها الرسول – صلى الله عليه وسلم- تختلف عن العربية التي قبله، وهذا ما يؤكده القول التالي حول إيحاء اللغة إلى النبي – صلى الله عليه و سلم: « قال أبو أحمد الغطريف في جزئه: عن عمر بن الخطاب أنه قال : "يا

---

[1] المعجم الوسيط، مطابع الدار الهندسية، مجمع اللغة العربية، ١٩٨٥، ج١، ص ٩.

[2] فولفد يتريش فيشر، الاساس في فقه اللغة العربية، ترجمة سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢، ٣٢.

رسول الله : ما لك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا ؟ قال : كانت لغة إسماعيل قد درست فجاءها جبريل عليه السلام فحفظنيها فحفظتها، أخرجه ابن عساكر في تاريخه" [1]

ويعتبر ميكيل، بالنسبة للأدب، فهناك الرواية فهو الجنس الجديد الذي لعب دوراً هاماً بشكل متزايد ولا يزال، ومع ذلك لم يلق الضوء بشكل جيد عليها، ودون شك ليس هناك جنس أدبي آخر يستطيع على هذا المستوى أن يمثل العالم العربي اليوم في ذاته ولغته وعلى نحو خاص ما يتصل ببعض الطرق (الأدب)، كالواقعية والرمزية والثورية، لقد مرت كل الأمور عبر التاريخ فيما بدا لو أنه كان يراد اختفاء للثقافة، وربما كانت حادثة اجتياح المغول لبغداد (1258م)، بمثابة صدمة أيقظت الوعي العربي، وإلّا لماذا هذه المؤلفات الكثيرة ذات القيمة الهائلة على المستوى الإنسان، لمؤلفين كثر، فهذا الأدب يظهر مقدرة جديدة، بالإضافة إلى تعبيره على عصور المجد والمواجهات المقدسة يبرز قدرة جديدة على البقاء وشاهداً على اللغة العربية [2].

وأما بلاشير يعتبر أن تاريخ تحديد الأدب العربي قد تم ومازال غالباً يتم، لا على أساس الظواهر الاجتماعية الثقافية فقط، بل على أساس تقسيمات غريبة كتلك التي نجدها في

---

[1] عبد الرحمن جلال الدين السبوطي المزهر: في علوم اللغة وأنواعها، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلق على حواشيه: محمد أحمد جاد المولى، وعلي محمد، محمد ابو فضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، ج١، ص ٣٠.

[2] أحمد درويش، الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، مرجع سابق، ص :62.

كثير من كتب الملخصات، كمصطلح العصر العباسي، الذي شمل كل ما تم في عالم الأدب من عام 750م حتى سقوط بغداد بيد هولاكا عام 1258 [1].

ويتابع بلاشير[2] إن نظرة عامة إلى الأدب العربي تسمح لنا بتميز خمسة عصور وهي على الشكل التالي:

- العصر الأول: عصر الذين حملوا دعوة محمد ورسالته في الجزيرة العربية عام 632م، وبالنسبة للأدب فقد بلغ ذروته في هذا العصر في عالم 50هـ (670م)، وكان هذا الجيل الذي يشيد الإمبراطورية الجديدة، حيث يتميز بظاهرة لغوية وضعت الإطار العام الذي سوف تسير عليه كل الحضارة العربية – الإسلامية (اللغة الفصحى)[3].
- العصر الثاني: فإن خطة القمة يمكن أن تكون نحو 725م، وأن الظواهر التي تحكمت في هذا العصر (في بداياته) نشأت وتطورت في بلاد الشام والعراق والحجاز، لقد كانت دمشق محور جذب لشعراء المديح القادمين من خارج الشام تحديداً من العراق والحجاز وشبه الجزيرة العربية، وهنا يظهر الدور الرائد الجديد لحضارتي العراقَيين (البصرة والكوفة) ويرجع إليها الفضل في تطور الأدب العربي في هذه الفترة الزمنية، كما ظهرت الحركة العقلية فيها، فحين نضع أي أدب في

---

(1) بن حدو سعاد، قيطون نعيمة، الاستشراق وأثره في الحضارة العربية الإسلامية، رسالة ماجستير في اللغة والأدب العربي، مرجع سابق، ص : 77.

(2) ريجي بلاشير بالفرنسيةRégis Blachère : (1318 – 1393 هـ / 1900 – م، هو مستشرق فرنسي، ولد في مدينة مونترج 1900 وتوفي في مدينة باريس 1973، معروف بإطلاعه العميق على اللغة العربية و الأدب، للمزيد راجع موقع http://arab-ency.com.sy/detail/1933 تاريخ الدخول 2021/11/17.

(3) أحمد درويش، الإستشراق الفرنسي والأدب العربي، مرجع سابق، ص :77.

دائـرة مـن حولـه نجـده يعـاني مـن التقلبـات الاجتماعيـة والسياسـية والتـي لا تنفصـل عن تاريخه[1].

- العصـر الثالـث: إن هنـاك حادثتـان كـان لهمـا للحضـارة الاسـلامية نتـائج تـوازي علـى الأقـل سـقوط بغـداد، وهمـا دخـول الملـك فردينانـد الثالـث قرطبـة[2] منتصـراً عـام 1236م، وسـقوط إشـبيلية عـام 1248م بـدورها علـى يـد المسـحيين، وقـد تميـز الاضـطراب النـاتج عـن هـذين الحـادثتين إلـى هجـرة كبيـرة لكـل العناصـر الفكريـة مـن علماء وفلاسفة وشعراء [3].

- العصـر الرابـع بالنسـبة لـلأدب العربـي أيضـاً، (يتـابع بلاشـير)، فيجـب الوقـوف علـى دخـول السـلطان العثمـاني سـليم الأول القـاهرة عـام 1517م، وامتـداد السـلطنة العثمانيـة حتـى الجزائـر ولأول مـرة سنشـهد تضـييق علـى العربيـة تحـت ظـل السـلطنة العثمانيـة (الإسـلامية – التركيـة)، ليـدخل الأدب العربـي ثبـات عميـق لأكثـر مـن ثلاث قرون.

- العصـر الخـامس لـلأدب العربـي والأخيـر هـو بـين أعـوام 1860 و1881م، او مـا يسـمى بالنهضـة، حيـث ظهـرت القوميـة المصـرية ضـد الاسـتعمار الغربـي، وظهـرت

---

[1] أحمد درويش، الإستشراق الفرنسي والأدب العربي، مرجع سابق، ص 83.

[2] اشتهرت أيام الحكم الإسلامي لإسبانيا، ولقد ذكرها الكثير من المؤرخين العرب في كتاباتهم ومنهم ياقوت الحموي، حيث كانت قرطبة في عهد عبد الرحمن الثالث الأموي عاصمة لدولة الأندلس، ويستضيء الماشي بسراجها من على بعد عشرة أميال، وبلغ عدد سكانها حوالي المليون نسمة بينما كانت أكبر مدينة في أوروبا لا يزيد سكانها عن ربع مليون نسمة. للمزيد راجع موقع https://www.marefa.org تاريخ الدخول 2021/11/17

[3] أحمد درويش، الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، مرجع سابق، ص :84.

أيضـاً بالنسـبة لـلأدب العربـي أجنـاس أدبيـة لـم تكـن موجـودة حتـى فـي العصـر الذهبي(العباسي) حتى، كالمسرح والترجمة الذاتية والرواية والقصة القصيرة [1].

[1] بن حدو سعاد، قيطون نعيمة، الاستشراق وأثره في الحضارة العربية الإسلامية، رسالة ماجستير في اللغة والأدب العربي، مرجع سابق، ص (84،88).

المبحث الثالث: منهجهم في تناول التراث العربي

لقد تنوعت مناهج المستشرقين، بتنوع مدارسهم، والعصر الذي كتبوا فيه، ففي بدايات الاستشراق الذي كان منطلقاً من البواعث الدينية العصبية، كان المنهج السائد فيه هو المنهج القائم على الجدل والتعصب والحقد.

وقد انتقده الغربيون انفسهم، ومن هؤلاء نورمان دانيال وريتشارد سوذرن، ولعل الروح العصبية الحافزة، استمرت مع عدد المستشرقين حتى وقتنا الحاضر، أمثال مارجليوت ولامنس وبرنادلويس، كما ظهرت في الغرب النزعة المادية الماركسية، وخاصة الدول الشيوعية وقد تأثر الباحثين في العالم الرأسمالي بها، فحاولوا تفسير الإسلام تاريخياً وعقيدةً وشريعةً وفق المنهج المادي الماركسي، ومع بزوغ النهضة الأوروبية في القرن العاشر ميلادي، ظهرت طائفة من علماء الغرب وجمهورهم من الرهبان الذين عرفوا التراث العربي من عرب الأندلس، ومصر وبلاد الشام، فقاموا يدرسونه ويفتشونه، وقد انصرف اهتمامهم في البداية إلى علوم الحكمة الفلسفة والحساب والفلك والبصريات والكيمياء ثم التراث العربي[1].

لقد تغيرت طريقة تناول سيرة النبي محمد صل الله عليه وسلم تغييراً جذرياً من حيث المناهج الجديدة في التاريخ الأوروبي الحديث، حيث سيتم دراسة سيرته صل الله عليه وسلم من زاوية جديدة، وذلك من أجل إنجاز صورة مختلفة للسيرة النبوية التي طرحت في العصور الوسطى – التي لا يتقبلها عاقل – ومهما يكن من أمر فهذا النشاط

---

[1] محمد محمود الطناجي، مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، مكتبة الخانجي، مصر–القاهرة، ط1، 1984، ص 206.

يفـرض منـاهج جديـدة (نقـد تحليلـي)، وذلـك لإنتـاج مصـنفات استشـرافية تتصـف برؤيـة جديـدة، وأكبـر دليـل علـى ذلـك صـاحب ترجمـة القـرآن الكـريم إلـى الفرنسـية عـام 1783م " سـفاري savary"، حيـث نجـد منظـور مختلـف لتلـك الأسـاطير التـي حبكـت فـي العصـور الوسطى حيث قال :" إن مختصر حياة محمد مكانة محترمة، وقد ساعد في إعطاء فكرة صائبة حول هذا الرجل الخارق، الذي صور على أنه غول وذلك عن طريق الكتاب الإغريقي واللاتيني، كما صور على أنه أعظم الرسل عن طريق المحمديين، لقد تجنبت تجني البعض، وحماسة البعض الآخر، وذلك من أجل أن يكون القارئ قادراً على إصدار الأحكام بتعقل. لقد ألّه الغرب العقل مع بداية القرن السابع عشر، وهذا النشاط يفرض النقد على صحة النص التاريخي، ويكون لنا إذن نقد النصوص التاريخية لتقارير أخطاء النسّاخ والزيادات المقصورة للرواة ومحاولة العثور على النص الاصلي دون زيادة أو ونقصان [1]

إن أول من طبق منهج حقيقي تاريخي لنقد حياة محمد صل الله عليه وسلم هو " فايل"[2] وظهر ذلك في كتابه " النبي محمد حياته ومذاهبه"، الصادر عام 1843م، وهي سنة تأسيسية للنقد داخل إطار الاستشراق، وضمن شروط الموضوعية.

وتبعاً للمناهج التي ظهرت خلال تلك الفترة فعلى محققي النصوص التاريخية أن يسجلوا في الحواشي ملاحظاتهم التي تتعلق بمصادر المؤلف، لأن كثيراً من المؤلفات لا تزال

---

[1] اسبينوزا، رسالة اللاهوت والسياسة، ترجمة حسن حنفي، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2005، ص 19

[2] غوستاف فايل (1808 – 1889 م) هو مستشرق ألماني يهودي، تعلم العربية في باريس والجزائر ومصر حيث تتلمذ على محمد عياد الطنطاوي.

مخطوطـة، حيـث لا يكفـي مراعـاة قواعـد الـنص، وإنمـا التحـري بالدقـة فـي اختيـار الـنص الذي نشر[1].

وأما أبرز مناهج المستشرقين فهي على الشكل التالي:

- **المنهج التاريخي:**

أول المنـاهج التـي تقابـل الباحـث فـي معالجـة المستشـرقين للدراسـات الإسـلامية علـى وجـه الخصـوص هـي مـا يسـمى بـالمنهج التـاريخي، وهـو عبـارة عـن ترتيـب وقـائع تاريخيـة أو إجتماعيـة وتَزِينهـا وتُرتبهـا، ثـم الإخبـار والتعريـف بهـا، والهـدف مـن هـذا المـنهج، هـو جمـع أكبـر عـدد مـن المعلومـات والمعـارف المتعلقـة بموضـوع الدراسـة، ويـتخلص دور الباحـث هنـا في إرجاع الظواهر الفكرية وردّها إلى أصولها الأولى[2].

- **منهج الأثر والأثير:**

مـن شـأن هـذا المـنهج أن يـرد الظـواهر إلـى العوامـل الخارجيـة التـي أثـرت فـي قيامهـا، وقـد إسـتخدم فـي دراسـاتهم للـوحي الإلهـي والفقـه الإسـلامي والفلسـفة الإسـلامية وحـاولوا رد كـل موضـوع إلـى تـأثيرات سـابقة، فعلـى سـبيل المثـال يـردون التوحيـد إلـى أصـول يونانية، وأن التصوف ليس إلا صدى الفارسي أو الهندي[3].

---

(1) جـان سـوفاجيه، كلـود كـاين، مصـادر دراسـة التـاريخ الإسـلامي: دليـل ببليـوغرافي، ترجمـة عبـد السـتار الحلوجي، عبد الوهاب علوب، المجلس الأعلى للثقافة،1998، ص60.

(2) الحاج سالم الساسي، نقد الخطاب الاستشراقي، دار المدارس الإسلامية، ليبيا – بنغازي، الجزء الأول، ط 1، 2002، ص 9.

(3) بن حدو سعاد، قيطون نعيمة، الاستشراق وأثره في الحضارة العربية الإسلامية، رسالة ماجستير في اللغة والأدب العربي، مرجع سابق، ص:90.

- **منهج المطابقة والمقابلة:**

وهو ما يسمى أحياناً بالمنهج الفسيولوجي ويعتمد على المقاربة والمطابقة، من خلال المقارنة بين تحليل النصوص وردها إلى عناصر سابقة أو شبيهة، وذلك من خلال فرضية علمية ترسّخت في ذهن المستشرقين، طبقاً لأحكام مسبقة، مفادها أن القرآن الكريم (الذي يدرسونه)، ما هو إلّا صورة لما ورد قبل بعثة محمد، فكلما تطابق ملامح نص قرآني سارعوا إلى ردّ ذلك إلى ثقافة الرسول محمد واطلاعها على الكتب السابقة، أما في حال الخلاف فلا يردّون ذلك لما حل من نصوصها من تغيير وتحريف وتبديل[1].

- **المنهج الإسقاطي:**

يتفق هذا المنهج مع المنهج العكسي في دراس الظواهر الإسلامية وهو ذلك المنهج الذي يأتي بأوثق الأخبار وأصدق الأنباء، فيقلبها عمداً لتصور مسبق يسيطر على ذهن الدارس أو الباحث[2].

- **المنهج التحليلي:**

يعمد هذا المنهج إلى تحليل وتفتيت الظاهرة الفكرية موضوع الدراسة إلى مجموعة من المكونات والعناصر، فالمنهج التحليلي في دراسته للظاهرة يردّها إلى عناصره الأولية كالظروف الدينية والاجتماعية والسياسية، وخطورته يكمن في تأثر المستشرق في بيئته وثقافته ودينه وحضارته، وقد عارضه بعض المستشرقين، أمثال المستشرق السويدي تورأنديه وإعتبره عقيم، صاحب كتاب محمد حياته وعقيدته، واعتبر

---

[1] محمد جلال إدريس، الإستشراق الإسرائيلي في الدراسات العبرية المعاصرة، مكتبة الأدب ، القاهرة، ط1، 2003، ص 30

[2] بن حدو سعاد، قيطون نعيمة، الإستشراق وأثره في الحضارة العربية الإسلامية، رسالة ماجستير في اللغة والأدب العربي، مرجع سابق، ص:94.

أنـدري هـان أن مهمــة الباحـث تتمثـل بـإدراك الموضـوع بنظـرة موضـوعية، كـي تتـألف مـن العناصـــر والمـــؤثرات وحـــدة موضـــوعية، فالإســـلام لا ينكـــر صـــلاته بالمســـيحية ولا باليهودية[1].

- **منهج الشك الديكارتي:**

وقــد اتبعــه جانــب مــن المستشــرقين كقاعــدة صــلبة لتحليــل تراثنــا الإســلامي الحضــاري، فراحــوا يشــككون فــي نصــوص القــرآن والســنة النبويــة وصــدق الــوحي وجمــع القرآن.

- **منهج البناء والهدم:**

يعتمـد هـذا المـنهج علـى عنصـرين بـارزين همـا: البنـاء بمعنـى المـدح والإطـراء مـن قبـل المستشـرقين، لجانـب ظـاهرة موضـوع الدراسـة، بحيـث تكـون هـذه الجوانـب غيـر رئيسـية فـي الموضـوع برمتـه، ثـم الهدم ثانيـاً فيـه يجـرد الباحـث أهـم أركـان موضـوعه مـن كـل مقوماتـه حتـى يسـقطه أمامـه، فمـثلاً يقـوم المستشـرق بالمـدح والثنـاء علـى بعـض الظـواهر الإسـلامية كتحريـر المـرأة (ممـا كانـت عليـه فـي الجاهليـة قبـل الاسـلام)، والأخـلاق السـامية التـي ينـادي فيهـا الإسـلام، لينطلـق القـارئ مـع هـذا المـدح مصـدقاً نوايـاه، ثـم ليسـدد المستشـرق ضـربة قاسمة للعقيدة ذاتها[2].

---

[1] محمد جلال إدريس، الاستشراق الإسرائيلي في الدراسات العبرية المعاصرة، مرجع سابق، ص 42

[2] بن حدو سعاد، قيطون نعيمة، الاستشراق وأثره في الحضارة العربية الإسلامية، رسالة ماجستير في اللغة والأدب العربي، مرجع سابق، ص(95،96).

خاتمة الفصل الأول

كـان للمستشـرقين تـأثير كبيـر فـي التوجهـات الثقافيـة التـي سـجلت علـى مسـتوى الفكـر والأدب ونقـده فـي الثقافـة العربيـة وذلـك بمـا تميـزوا بـه مـن آراء، فقـد حـاولوا تطبيـق مـا توصـلت إليـه النظريـات العلميـة عامـة كنظريـات الأدب المختلفـة ومـنهج علمـي لـم يسـتدعه المستشـرقون ابتـداعا بـل هـو مـنهج، وقـد كانـت لهـم أراء خاصـة هـم توصـلوا إليهـا بعملهـم واجتهـادهم علـى مسـتوى الأدب العربـي خاصـة كمـا تميـزوا بالعمـل الـدؤوب، والجهـد المتواصل والحرص على الدرس.

وكانـت أهـداف المستشـرقين مختلفـة ومتباينـة، ولقـد كـان هـذا التنـاقض يختفـي بيـنهم تحـت واجهـة الطـابع العلمـي وهـذا الطـابع الـذي لـم يخفـي نزعـة الشـك والتحامـل علـى الكثيـر مـن صـفحات التـاريخ الإسـلامي وبأسـلوب يصـل إلـى حـد الكشـف الواضـح عـن نفسـه، وقـد تنبـه إلـى ذلـك التحامـل عـدد مـن مفكـري الغـرب أنفسـهم قبـل أن ينتبـه إليـه مفكـري العـرب. وقـد نـال التـاريخ الإسـلامي والعـالم العربـي اهتمـام المستشـرقين الـذين أولـوه عنايـة خاصـة، وحـاولوا وبجهـد كبيـر تطـوير حقـل الدراسـات التاريخيـة وابتكـار أسـاليب منهجيـة جديـدة وطرحـوا نظريات عديدة كانت نتيجة لتأثرهم البالغ بالنظريات الاجتماعية.

لكـن بعضـهم فـي إظهـار ميولـه المعـادي للعـرب والمسـلمين (تـم ذِكـر قسـم مـنهم بالفصل آنفاً) لمحاولة استثمارهم ظاهرة التقسيمات الأنثروبولوجية[1] بين الشرق والغرب.

[1] الأنثروبولوجيا هو مُصطلح مُشتق من كلمتين يونانيتين هما: أنثروبوس وتعني الإنسان، ولوغوس، وتعني الدراسة، وبذلك يكون معنى الأنثروبولوجيا هو دراسة الإنسان، أو علم الإنسان، ويدرس هذا العلم البشر بماضيهم وحاضرهم ليفهم الكيانات الهائلة والمعقدة من الثقافات عبر التاريخ، وتُبنى الأنثروبولوجيا، وتتحرك على القواعد للمزيد راجع موقع https://sotor.com تاريخ الدخول 2021/11/17

الفصل الثاني: ماسينيون وجهوده في خدمة التراث العربي

المبحث الأول: حياته وتكوينه الفكري.

المبحث الثاني: ربطه بين معالم الدين المسيحي والدين الإسلامي.

المبحث الثالث: جهوده في خدمة التراث العربي

خاتمة الفصل الثاني.

مقدمة الفصل الثاني:

كثر من المفكرين والمؤرخين ينظرون عادة إلى كتاب "آلام الحلاج" الذي اشتغل عليه المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون طوال ما يزيد عن خمسة عشر عاماً مضت بين اكتشافه للحلاج في العام 1907، وكان بالكاد بلغ الرابعة والعشرين من عمره لنيل درجة الدكتوراه في الفكر الإسلامي، باعتباره واحداً من أهم الكتب التي لم تتناول الحلاج وآلامه وحسب، بل تناولت قضية التصوف في حد ذاتها. أما بالنسبة إلى ماسينيون نفسه فلقد كان اشتغاله على الحلاج، هو ما أعاده، كما سيحلو له أن يقول دائماً، إلى إيمانه المسيحي بل حتى إلى نوع من إيمان مطلق قاده إلى تقبل إيمان كل البشر بوصفه جزءً أساسياً من إنسانية هؤلاء البشر [1].

وقد أبرز إلى السطح الافكار الصوفية والإسراريه والشعبية في الثقافة العربية، ولعب دوراً اساسياً في مجال التاريخ السياسي في منطقتنا، بل كان واحداً من صناع الاحداث التاريخية الكبرى التي زلزلت مجتمعاتنا، منذ أن اصبح مستشاراً سياسياً للدبلوماسي الفرنسي فرانسوا جورج بيكو في الاتفاق الذي وقعه باسم دولته مع ممثل بريطانيا الدبلوماسي السير مارك سايكس، في ما عرف باتفاقية سايكس – بيكو التي قسمت فيها الدولتان وتقاسمتا المنطقة العربية، وقد كان بحق مثقفا منخرطاً في القضايا

---

[1] إبراهيم العريس (باحث في التاريخ الثقافي وصحافي وناقد سينمائي ومترجم ، مقال (الثلاثاء 6 يوليو 2021) من صحيفة الإندبندنت العربية (هي أول صحيفة تمتلك حقوق النشر باللغة العربية لصحيفة عالمية هي الإندبندنت البريطانية التي أُسست عام 1986) للمزيد راجع موقع https://ektab.com تاريخ الدخول 2022/1/13

الكبرى في التاريخ فعمل بصدق ونزاهة كبيرتين لبلوغ العدل الانساني بعيداً عن الغطرسة العرقية والدينية وهي الخصيصة الأصلية لمثقفين كثيرين في عصره [1].

[1] علي بدر، ماسينيون في بغداد من الاهتداء الصوفي إلى الهداية الكولون، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ص: 22.

المبحث الأول: حياته وتكوينه الفكري.

أولاً- حياته:

ولد **لويس ماسينيون** في باريس عام 1882م وتوفي عام 1962م، حصل على دبلوم الدراسات العليا في بحث عن المغرب، كما حصل على دبلوم في اللغة العربية من مدرسة اللغات الشرقية في باريس بالفصحى والعامية، زار كل من المغرب والجزائر وفيها انعقدت الصلة بينه وبين بعض المستشرقين الكبار امثال: " جولدزيهر آسين بلاثيوس وسنوك هورخروينه ولي شاتيليه "[1].

التحق بالمعهد الفرنسي الشرقي في القاهرة بين عاميّ 1907م-1908م، وعاد إلى مصر عام 1909م، حضر بعض دروس الأزهر وقد ارتدى زي الأزهر، وزار العديد من البلاد الإسلامية منها الحجاز والقاهرة والقدس ولبنان وتركيا، ثم عاد إلى باريس وتقلّب في مناصب التدريس بالمعهد والجامعات، وحصل على دكتوراه من السوربون برسالة آلام الحلاج عام 1922م، وتسلم تحرير مجلة العالم الإسلامي عام 1919م، ثم مجلة الدراسات الإسلامي التي حلت محلها سنة 1927م، ثم عين أستاذاً في السوربون من سنة 1927م حتى سنة 1954م، وقد اعترفت المجامع العلمية بعلمه وفضله، كالمجمع العلمي الآسيوي، والمجمع اللّغوي في مصر (الذي أنشأ سنة 1933)، والمجمع العربي

---

[1] بن حدو سعاد، قيطون نعيمة، الاستشراق وأثره في الحضارة العربية الإسلامية، رسالة ماجستير في اللغة والأدب العربي، مرجع سابق، ص:48

فـي دمشـق، وتعـد آثـاره بالمئـات ، أشـهرها التصـوف الإسـلامي حيـث حقـق ديـوان الحلاج[1].

ثانياً– تكوينه الفكري:

لقـد قـام ماسـينيون فـي دراسـة عـدد هائـل وضـخم مـن المخطوطـات العربيـة والإسـلامية، فأكسـبه ذلـك شخصـية تتضّـح فيهـا كـم هائـل مـن الثقافـة والمعرفـة الدينيـة والسياسـية، ممـا جعلـه يقـوم بمقاربـة بـين الأديـان، فقـرّب بـين الإسـلام والمسـيحية فـي " صـلب الحـلّاج"، وبـين شخصـيتيّ فاطمـة الزهـراء ومـريم عليهـا السـلام، وقـرّب بـين الأديـان السـماوية في شخصية إبراهيم عليه السلام[2].

ويسـتحق المستشـرق الفرنسـي لـويس ماسـينيون أن يوصـف بأنـه مستشـرق غيـر عـادي، ونمـوذج فريـد فـي تأكيـد الصـلات الثقافيـة بـين الشـرق والغـرب، وجـاءت فـرادة ماسـينيون مـن إسـهاماته القيمـة فـي مجـال الدراسـات الإسـلامية، والدراسـات الصـوفية منهـا بوجـه خـاص، ويرجـع ذلـك إلـى سـعة اطلاعـه وعمـق نظرتـه وغـزارة علمـه، إضـافة إلـى رحلاتـه المتعـددة إلـى بـلاد الشـرق الإسـلامي، وصـلاته الوثيقـة بالمؤسسـات العلميـة الإسـلامية، وقيامـه بالتـدريس فيهـا. وامتلـك ماسـينيون رؤيـة مختلفـة للواقـع العربـي فـي بـدايات القـرن الماضـي، وحـاول أن يجـد صـلات وصـل قويـة بـين عالمـه المسـيحي والعـالم الإسـلامي مـن خـلال شخصـية الحـلاج، ولَعـلَّ اسـتغراق ماسـينيون فـي دراسـة التصـوف الإسـلامي جعـل

---

[1] ، لـويس ماسـينيون – مصـطفي عبـد الـرزاق، التصـوف، ترجمـة دائـرة المعـارف الإسـلامية:" إبـراهيم خورشـيد، عبـد الحميـد يـونس، حسـن عثمـان"، دار الكتـاب اللبنـاني – مكتبـة المدرسـة، لبنـان – بيـروت، الطبعة الأولى، 1984، ص: 9.

[2] علي بدر، ماسينيون في بغداد من الاهتداء الصوفي إلى الهداية الكولونية، مرجع سابق، ص: 22.

منــه فــي النهايــة متصــوفاً يتمتــع بنظـرة تسـامحيه فريـدة تـدعو إلــى الوئـام بـين أبنـاء جميـع الــديانات وتتحلــى مؤلفــات ماســينيون بنــوع مــن الســحر، لأنهــا تنبــع مــن أســاس تجربتــه الشخصـية ومـن إعـادة عـيش التجربـة مـن خـلال كتاباتـه ومسـاهماته العلميـة، وقـد بلغـت أكثـر من 200 كتاب ومقالة[1]

وكـان يطيـب لماسـينيون (L. Massignon) أن يُـردّد هـذا البيـت للحـلّاج " اقتلـوني يـا ثقـاتي إن فـي قتلـي حيـاتي"، الـذي كـرّس قـدرًا كبيـرًا مـن جهـده للحفـر فـي أخبـاره. ومـن هنـا ارتــبط ماســينيون لــدى معظــم دارســيه مــن العــرب بــالحلّاج خاصّــة والتّصــوّف والدّراســات الإســلاميّة عامّــة، فقـد انتقـل مـن دراســة التّــاريخ والآثــار إلــى التّصــوّف والدّراســات العربيّــة الإســلاميّة إلــى الواقــع العربــي والاتّجاهــات المــؤثّرة فــي توجيهــه، وظــلّ الحــلّاج والتّصــوّف محـورَ اهتمـام المستشـرق الفرنسـي فـي معظـم دراسـاته، وأسـاس تحـليلات كـلّ البـاحثين العـرب الــذين ناقشــوا أعمالــه. فهــو الصــوفي؛ صــاحب الحــلّاج. لقـد كــان الحســين بــن منصــور الحــلّاج البيضــاوي البغـدادي أســاس الإشــادة بجهـد المستشــرق الكبيـر، ومصــدر النّقـد الــذي وُجّـه إليـه فـي الوقـت نفسـه، باعتبـار هـذا الاهتمـام الصـوفي يُخفـي اهتمامـاتٍ سياسـيّةً تشـغل ماسينيون[2]

وفــي إلقــاء الضــوء علــى شخصــية ماسـينيون يقـول الـدكتور فخـري نـورس فــي كتابــه الصـــادر عـــام 1984 (بمناســبة مائــة عــام علــى ولادة المستشــرق العــالم لــويس ماســينيون)

---

[1] محمــد الــدعفيس، مقــال منشــور فـــي مجلـــة الــوطن الســعودي، مرجــع ســابق، ماســينيون المستشـــرق المتصوف.

[2] أحمـد عبـد الحلـيم عطيـة، مقـال منشـور فـي مجلـة الدراسـات الإسـلامية، الصـوفي والسياسـي صـورة ماسينيون في الفكر العربي المعاصر، عدد /2021/24.

واصفاً إياه:" وهو من أسرة مرموقة ذات مستوى ثقافي مرموق ترجع أصولها إلى مقاطعة الفيكسان (المنطقة الفرنسية المحضة والكاثوليكية الصلبة)، وانطبع ماسينيون بهذين الطابعين منذ الصغر، وحافظ عليهما طوال حياته"، ولكن لم يمنع ذلك من دراسة الدين الإسلامي والتعمق في أصوله وفي أصول اللّغة العربية، كما اتجه نحو التصوف والمتصوفين في دراساته العلمية والإسلامية[1].

ويقول الدكتور عبد الرزاق الأصفر في كتابه (لويس ماسينيون ما له وما عليه) الصادر عام 2001:" لقد تلقى ماسينيون علومه في ليسيه لويس الكبير، وهو في الرابعة عشر من عمره، وقام بإصدار مجلة صغيرة في حينها (نحلة فرنسا).

وقد تتمتع بخلفية علمية وثقافية حيث حصل لويس ماسينيون على البكالوريا في قسم الآداب والفلسفة عام 1900م، وبكالوريا في الرياضيات أيضاً، سافر عام 1901، إلى الجزائر لأول مرة، حيث اكتشف الإسلام، ثم غادر عام 1902 إلى فرنسا، التحق بالخدمة العسكرية عام 1903، ثم قام برحلة إلى المغرب وهو في سن العشرين من أجل دراسة وطوائف جماعات فاس[2]. وقد تعرضت خلال الرحلة، قافلته للهجوم من قبل قطاع الطرق ونهبت القافلة، بعد أن تآمر عليه مرافقه ودليله ومترجمه العربي، الّذي تحدث باللغة العربية مع اللصوص، وبعد أن إكتشف الخديعة، وشعر ماسينيون أنه كاد يفقد حياته، قرر دراسة اللغة العربية وإتقانها[3].

---

[1] إيلي الربضي، لويس ماسينيون، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى،2019، ص 11

[2] موجودة في أقاليم المملكة المغربية وتنتمي إلى جبال الريف والأطلس الصغير.

[3] إيلي الربضي، لويس ماسينيون، مرجع سابق، ص 14

بعد عودة ماسينيون إلى باريس عام 1907م، كلفه الجنرال دوبيلي بمهمة التنقيب عن الآثار جنوب بغداد الذي سماه الأرض الموهوبة في إحدى رسائله إلى الكرملي([1])، وقد وصل إلى بغداد في بعثة أثرية تبحث عن قصر الأخيضر[2] جنوب كربلاء عام 1908 وكان عمره خمسة وعشرين سنة، فعاش حياة متقشفة متخفياً بملابس ضابط تركي ومحمياً من قبل العالمين محمود شكري الآلوسي والقاضي علي نعمان الألوسي، في بيت الآلوسي ذاق طعم الضيافة العربية، بل أصبحت الضيافة مركزياً في تفكيره، وحدد به مواقفه من المنطقة العربية ومن الغرب ومن الإسلام ومن سياسة بلده[3] .

وفي هذا الاطار لا شك ان منهج لويس ماسينيون، هو " منهج يصدر عن رؤية ولا بد اما صراحة واما ضمناً، الوعي بأبعاد الرؤية شرط ضروري لاستعمال المنهج استعمالاً سليماً، حيث تحدد له أفقه وأبعاده، والمنهج يغني الرؤية ويصححها"[4].

ومن أبرز الأحداث التي غيرت حياة ماسينيون، بعد التعرف على قصة الحلاج من خلال آل الألوسي، حادثة وقعت معه، وذلك بعد أن ذهب ماسينيون إلى غار الصحراء إلى الجنوب من بغداد للبحث عن قصر اللخميين، القصر الأخيضير، حيث رفض أحد الفرنسيين دفع كفالة مستحقة عليه، فشك به أحد الضباط الأتراك، وتم القبض عليه بتهمة

---

(1) هو الأب أنستاس الكرملي (1947-1866)، رجل دين مسيحي عراقي، وضع كتب مهمة في الأبحاث واللغة العربية في عملية التعريب وأصدر مجلة لغة العرب عام 1911م.

(2) قلعة أثرية تقع في جنوب كربلاء وسط العراق، تتميز ببنائها الفخم والعجيب، وتعد من أروع لآثار الحضارية الإسلامية القائمة في عهد عيسى ابن موسى من الأسرة العباسية 778 م.

(3) إيلي الربضي، لويس ماسينيون، مرجع سابق، ص 16.

(4) محمد عابد الجابري، نحن والتراث: قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٦، 1993، ص 26.

التجسس والمؤامرة ضد السلطان عبدالحميد، وعذب وحكم عليه بالإعدام، وهنا جرى له تحول روحي كبير داخل السجن، وبعد محاولات أصدقائه من ال الألوسي استطاعوا إخراجه من السجن بكفالة مالية[1].

بعد هذه التجربة عاد ماسينيون إلى باريس وقلبه طافح بالإيمان العميق الذي سيرافقه طوال حياته، وباشر بتحقيق رسالة (اطروحة الدكتوراه) عن الحلاج شهيد بغداد المتصوف، وقد تعرف على شارل فوكولد[2] وهنري دي كاستري [3]، المؤمنان المسيحيان، وقد كرس ماسينيون جهوده في الرابطة التي أنشاها فوكولد، وأشرف لويس على طباعتها عام ١٩٢٨، ثم التحق ماسينيون بين عامي ١٩١٨ – ١٩١٩، بصفة ضابط مساعد ثم رقي لرتبة نقيب للمشاركة في المهمة الفرنسية البريطانية (سايكس – بيكو) بصفته خبيرا" في الشؤون العربية والإسلامية، وهناك تعرف على الأمير فيصل وجمعتهما علاقة صداقة[4]

---

[1] إيلي الربضي، لويس ماسينيون، مرجع سابق، ص 17.

[2] شارل دو فوكو ، (ولد 15 سبتمبر 1858 م – 1 ديسمبر 1916 م) راهب وقسيس كاثوليكي فرنسي، عاش فترة من عمره بين الطوارق في الصحراء الكبرى جنوب الجزائر. اغتيل عام 1916 م خارج أبواب الحصن الذي بني له بحماية الطوارق في تمنغست، وقد اعتبرته الكنيسة الكاثوليكية شهيدا. أفكاره وكتاباته كان لها دور في تأسيس " أخوة يسوع الصغار" من بين كل الأبرشيات الدينية الأخرى. تم تأبينه في 13 نوفمبر عام 2005 م من قبل البابا بندكت السادس عشر، للمزيد راجع موقع https://artsandculture.google.com تاريخ الدخول 2022/6/13

[3] هنري دي كاستري، ولد عام 1850م، وتوفي في سنة 1927م، كاتب مسيحي فرنسي، عاش بين الجزائريين زمنًا طويلاً، فقد كان مقدمًا بالجيش الفرنسي بالجزائر. ومن هنا جاء اهتمامه بالإسلام، من خلال مطالعته لأحوال المسلمين، والتأمل فيما يراه، والسؤال عمًّا يعنُّ له. وله مؤلفات هامة حول العرب المسلمين يأتي في مقدمتها "مصادر غير منشورة عن تاريخ المغرب" و" الأشراف السعديون" و "رحلة هولندي إلى المغرب" و "الإسلام خواطر وسوانح" وغيرها، للمزيد راجع موقع https://creativity507.wordpress.com تاريخ الدخول 2022/6/13.

[4] إيلي الربضي، لويس ماسينيون، مرجع سابق، ص 20–21

ومن انجازاته العديدة:

- ساهم في اجتماعات اسكونا في سوسأعوام:1949،1947،1946،1943،1938،1937.
- أسس عام ١٩٤٧ الجمعية الفرنسية الإسلامية.
- أنتخب في إيران عام ١٩٤٧، رئيساً لمعهد الدراسات الإيرانية.
- عضـوا" فـي لجنـة مـنح الإجـازات فـي اللغـة العربيـة منـذ عـام ١٩٤٩ وحتـى عـام ١٩٥٥.
- ساهم عام ١٩٥٠ في أعمال المؤتمر الدولي السابع حول تاريخ الأديان في امتسردام. [1]

وغيرها من الإنجازات، إضافة إلى الألقاب الجامعية والشهادات فقد كان محبا" للمعرفة متعطشا" للحقيقة والعدالة.

لم يحظَ عالم من علماء الإسلاميات في العصر الحديث بمثل ما حظي به المستشرق الفرنسي من مكانةٍ ساميةٍ ترتفع به إلى أسمى آفاق الإنسانيّة والروحانيّة لدى الكتّاب والباحثين والمثقّفين العرب، فهو بالنّسبة لهم ليس مجرّد مستشرقٍ منصفٍ فحسب، محبّ للعرب والمسلمين مدافع عنهم مناصر لقضاياهم، بل هو الصوفي الروحاني. ويمكن القول - ربما مع شيء من التجاوز - إنّ صورته لدى غالبيّة الأساتذة العرب المعاصرين في مجال الدراسات الإسلامية، هي صورة الباحث المتوحّد بموضوعه، المخلص له. والموضوع الذي أخلص له هو الإسلام وتجلياته المختلفة وصولاً إلى الواقع الإسلامي المعاش، الذي جاب معظم بلدانه وأتقن عددًا من لغاته؛ العربية والفارسية

---

[1] إيلي الربضي، لويس ماسينيون، مرجع سابق، ص 25

والتركيـة، وصـادق الكثيـر مـن علمائـه. كانـت لـه قـدرة وثقـة لا تتـأتّى لغيـره مـن المستشـرقين فـي تجنيد معارفـه وأصـدقائه مـن الأسـر الإسـلاميّة ذات النفـوذ، ممـن كـان لهـم تـأثيرهم القـوي علـى مجرى الأحـداث فـي أقطـارهم المختلفـة وجـذبهم إليـه وتحويـل حبّهم وعـونهم لـه إلـى علـم ومعرفـة، وكتابـات يكشـف مـن خلالهـا؛ ماضـيهم وحاضـرهم، أصـولهم وأنسـابهم وأعـراقهم، عقائـدهم وأفكـارهم، علـومهم المكشـوفة والمسـتورة، فقـد كـان الـدين الإسـلامي الإبراهيمـي هـو الموضـوع الـذي عـاش بـه ومـن أجلـه دارسًـا منقّبًـا وباحثًـا متحرّيًـا، بـل وصـوفيّ عاشـق. فهـو العاشق لتجلّي المطلق عبر ديانات التوحيد ومنها الإسلام[1]

ويمكــن الاستشــهاد بنمــاذج ممــا كتبــه البــاحثون والأســاتذة العــرب لتوضــيح هــذه الصـورة عـن ماسـينيون. فهـو «حجـة فـى تـاريخ التصـوّف الإسـلامي، وبـه ميـولٌ ثابتـةٌ لنصـرة الحـقّ والفهـم الصـحيح لمبـادئ الـدين الإسـلامي، ورغبـة صـادقة فـي تطهيـره مـن الشـوائب، وأمـل فـي إنهـاض الشـعوب الإسـلامية، وأسـف عميـق علـى سـقوط الدولـة... وهـو يـؤمن برسـالة النبـي محمـد عليـه الصـلاة والسـلام، وقـد قـال ذلـك وأثبتـه مـرات متعـدّدة فـى كتبـه، ويـؤمن بـالوحي والقرآن حتـى أذاع عنـه بعـض عارفيـه أنّـه اعتنـق الإسـلام، ولكـن الحقيقـة أنّـه لم يفعل ذلك جهارًا، ولكن أحاديثه تدلّ على كثرة اشتغاله بأدقّ مسائل الإسلام»[2]

بـل لقـد كتـب اللّبنـاني كمـال يوسـف الحـاج فـي مقدّمـة ترجمتـه العربيـة لكتـاب برجسـون «معطيات الوجدان البديهيّة» إهداء:

---

[1] أحمد عبد الحليم عطية، مقال عن ماسينيون في الفكر العربي المعاصر، مرجع سابق ص3.

[2] رابـح لطفـي جمعـة، محمـد لطفـي جمعـة وهـؤلاء الأعـلام (1950-1900)، دار الـوزان، القـاهرة، 1991، ص 482.

«إلــى المستشــرق الإفرنســي الكبيــر لــويس ماســينيون الــذي أوقفنــي بمعرفتــه الدقيقــة للتــراث العربــي ولغــة الضــاد علــى واجبــاتي نحــو لبنــان والشــرق العربــي؛ والــذي كشــف لــي بنزعتــه الصــوفيّة عمّــا للعاطفــة الدينيّــة مــن أهميّــة فــي تقــويم اعوجــاج هــذا العــالم المــادي بتفكيــره وإنهاضــه مــن عثرتــه الكفريّــة الجامحــة».وهــو أبــرز وجــوه الاستشــراق الجديــد، بــل فــي طليعتهــا التــي لهــا قصــب الســبق فــي مجــال تجديــد الاستشــراق، والموضــوع عنــد ماســينيون يبقــى الإســلام وثقافتــه غيــر أنّ تصــوّر مستشــرقنا لــه يتميّــز حقًــا بكثيــرٍ مــن الأصــالة والنــزوع المتشــوّق هــذه هــي الصــورة التــي يقــدّمها معظــم الأســاتذة الــروّاد للمستشــرق الفرنســي، والتــي تقــوم علــى الانبهــار الشــديد بعلمــه الغزيــر، والإعجــاب العميــق بلغتــه المنصــفة، والميــل الوجداني لشخصه[1].

---

[1] ســالم حمــيش ، الإستشــراق فــي إأفــق الســدادة، منشــورات المجلــس القــومي الثقــافي العربــي، الربــاط، 1991، ص (41،75،77).

المبحث الثاني: ربطه بين معالم الدين المسيحي والدين الإسلامي.

لقد برز الاستشراق منذ البدايه بقصد ايقاف التاثير الاسلامي في العالم الغربي ثم تتطور ليخدم مشروع تنصير المسلمين و لقد كان هدف الاستشراق منذ نشاته لخدمه الكنيسه والاهداف استعمارياً و تبشيريه وسياسيه[(1)]

وقد انطبقت بعض هذه الصفات على ماسينيون في البداية، من ناحيه مساعدة القوى الاستعمار، فقد تم تعيينه مستشاراً لجورج بيكو برتبه ضابط نقيب وكان لا بد من معرفه الاسلام معرفه جيده لمحاربته، على مستوى العقيده ولقد انكب المفسرون المستشرقون على ترجمه القرآن ودراسته من أجل نقده ولم يكن دائما ذلك عن حسن نيه [(2)]

شكَّل الإسلام محور حياة المستشرق الفرنسي لوي ماسينيون (1883–1962)، باحثًا ومحقّقًا ومدرِّسًا ولغويًّا وعالمَ اجتماع، وموظفًا عموميًّا في خدمة دولته ومصالحها، وهو أبرز ما هو مَدين به لدين التوحيد: حيث قال :« كثرة منا في فرنسا تلقت من الصحراء العربية تبليغ الإسلام هذا، والذي هو نعمة جعلتنا نجد الله في يسوعه (...)، وهذا التبليغ رسالة أصيلة للإسلام (...) وعودتي إلى الكنيسة بنت صلوات أولياء الله المسلمين الصالحين»[(3)].

---

(1) محمد ياسين مظهر صديقي، الهجمات المغرضة على التاريخ الاسلامي، ترجمة سمير عبد الحميد إبراهيم، قسم الدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية، الهند، 1988، ص 14.

(2) محمد ابراهيم الفيومي، الاستشراق رسالة استعمار، دار الفكر العربي، القاهرة، 1992، ص 193.

(3) عفيف عثمان، موقف لويس ماسينيون من الإسلام، معهد المعارف الحكمية، مقال منشور في موقع معهد المعارف الحكمية، تاريخ الدخول:٧ – ٩–2021

وأقـر ماسـينيون أن الإسـلام منحـه مـا كـرّس نفسـه لـه، أي "الرحمـة" (الرأفـة) و"البدلية"(أشـخاص عـاديون (عـاميون) يتبعـون قانونـًا رهبانيًّـا يـؤدّون مجموعـة مـن الصـلوات هـدفها جعـل المسـلمين يعترفـون بالمسـيح مـن خـلال إحـلال أنفسـهم مكـانهم)، وفكـرة "البدليـة" تسـتحق وقفـة (ويجـب تمييزهـا عـن "الأبـدال" عنـد الأوليـاء والمتصـوفة المسـلمين)، إذ إن ماسـينيون رغـم اقتناعـه بالإسـلام، إلا أنـه عـد عقيدتـه فقيـرة، ورأى أنـه يفصـل بـين الإنسـان وربـه، ويـرفض الاتحـاد بـين الخـالق والمخلـوق، فـأراد إكمـال مـا اعتبـره "غيـر نـاجز" فـي الإسـلام، مـن خـلال شـهادة تنقـل إليـه مـا يـنقص: "الإيمـان بالتثليـث"، وملاقـاة الإشـارات القرآنيـة حـول السـيدة مـريم العـذراء، وبعبارتـه جعـل الإسـلام: "يعيـد الاكتشـاف، فـي داخلـه وفي قلبه، للوجه المقدس للمسيح، عيسى ابن مريم" (شرح البدلية، 1947) [1]

أراد ماسـينيون مـن خـلال الصـلوات، هدايـة قلـوب المسـلمين إلـى روح الكنيسـة، فمقصـد البدليـة "إظهـار" المسـيح فـي الإسـلام. ومنـذ العـام 1953، شـاركت "لجنـة فرنسـا – إسـلام" التـي يرأسـها فـي صـوم اليـوم الأخيـر مـن رمضـان، باعتبـاره ليلـة القـدر، ومنـذ العـام 1956 كانت الفاتحة تُقرأ في افتتاح الجلسة الشهرية للبدلية.

وفـي العـام 1959 اتهـم الأزهـر "دار السـلام" التـي يـديرها ماسـينيون ومقـر البدليـة بالتبشـير الممـوه، فـرد هـذا الأخيـر برسـالة دفـاع وجَّههـا إلـى جماعتـه يؤكـد فيهـا أن البدليـة لا تهـدف مطلقًـا إلـى "الهدايـة الخارجيـة" لأصـدقائه غيـر المسـيحيين، بـل تطلـب مـنهم تعميـق معـرفتهم الحاليـة فـي محـور إلـه إبـراهيم بوسـاطة "هدايـة داخليـة"، ومـن خـلال قاعـدة حيـاة تأمليـة وزاهـدة قـادرة أن تولـد داخلهـم هـذا الوجـه "الـذي شـكلته مـريم ليسـوع" فـي أعمـاق قلـوبهم.

---

[1] عفيف عثمان، موقف لويس ماسينيون من الإسلام، معهد المعارف الحكمية، مقال منشور في موقع معهد المعارف الحكمية، تاريخ الدخول:٧ – ٩–2021

مــارس ماســينيون شــهادة مزدوجــة: فهــو كمســيحي رأى أن عليــه أن يُظهــر المســيح فــي الإســلام مــدفوعًا بدينــه إزاء الضــيافة الإســلامية، وفــي الوســط المســيحي عليــه أن يشــهد لمصلحة الإسلام[1].

تظهـر فـي حياتـه العامـة، ولا سـيما سـعيه لسـلام رزيـن بـين المسـيحية والإسـلام فـي أفريقيـا الشـمالية وفـي الشـرق الأوسـط (الجزائـر وفلسـطين)، وقـد تقيَّـد وأصـحابَه فـي البدليـة بالأركـان الخمسـة الإسـلامية (شـهادة التوحيـد، الصـلاة، الصـوم، الزكـاة، والحـج)، كمـا حضـه الإسـلام علـى إيـلاء العنايـة لمفهـوم القداسـة (sainteté)، مـا يعـادل فـي قاموسـنا "الـولي الصـالح" (يؤكّـد المفكـر الراحـل محمـد أركـون، أن لا وجـود لمفهـوم القداسـة فـي الإسـلام)، وهـو أراد إثبـات الفكـرة بـالمعنى المسـيحي، ونموذجـه كـان الحـلاج باعتبـار أنـه جـاء مبشـرًا بـدين المحبـة أو بحكـم الله فـي القلـوب. ومـن وجهـة نظـره، "يـؤول كـل التـاريخ إلـى ذلـك الخـاص بالقداسـة". ولهـذا القصـد انصـرف إلـى دراسـة المظـاهر الروحانيـة عنـدنا، ولا سـيما التصـوف، وجهـد فـي إثبـات أصـالته (أصـول قرآنيـة) حتـى مـن دون المـؤثرات الأجنبيـة، بخلاف الدراسات الرائجة للمستشرقين حول الأصول الخارجية له [2]

يميــز الأب يــواكيم مبــارك فــي مقالتــه عــن ماســينيون، ضــمن "الموســوعة العالميــة" (Encyclopdie Universalis) فـي الجـزء العاشـر، ثـلاث مراحـل فـي مسـيرته: "المرحلـة الحلاجيـة (نسـبة إلـى الحـلاج) التـي انتهـت مـع مناقشـته لأطروحتـه عـام 1922، والفتـرة "الإبراهيميـة" (نسـبة إلـى النبـي إبـراهيم) الممتـدة حتـى العـام 1950، والفتـرة الفرانسيسـكانية

---

[1] عفيف عثمان، موقف لويس ماسينيون من الإسلام، مرجع سابق.

[2] عفيـف عثمـان، موقـف لـويس ماسـينيون مـن الإسـلام، مقـال منشـور فـي معهـد المعـارف الحكميـة، مرجـع سابق.

التـي تميـزت بالتزامـه الـديني. وهـو فـي دراسـته للإسـلام اهـتم بدايـة بالعصـر الوسـيط، ومـن ثـم بالإسـلام الخالـد، وأخيـرًا بالإسـلام المعاصـر"، إن لـويس ماسـينيون هـو رجـل ديـن كـاثوليكي قبـل كـل شـيء، يحـاول وبشـكل مـا أن يقـدم خدمـة للكنيسـة الكاثوليكيـة، عـن طريـق دراسـاته الموجهـة إلـى الـدين الإسـلامي، وكـان داعمـاً لجماعـة القلبيـين الأقدسـيين الكاثوليكيـة التبشـيرية، وكـان داعمـاً ومشـاركاً فـي المـؤتمر العـالمي للمـؤمنين،ومحرر مجلـة " الإلـه الحـي"، ولـه محاضـرات فـي " الإيمـان بالمسـيح وعـالم اليـوم"، وسـاهم فـي هيئـة التعـاون المسـيحي الإسـلامي، وتـرأس هيئـة حـج الصـداقة المسـيحية الإسـلامية فـي لنـدن، ومـن المقاربـات بـين المسـيحية والإسـلام قـام ماسـينيون بدراسـة ظـاهرة " أهـل الكهـف " التـي وردت عنـد المسـيحيين والمسـلمين وتجلياتهـا الأيقونيـة ودلالاتهـا الدينيـة، حيـث ركـز جهـوده عليهـا، لإثبـات مفهـوم البعـث مـن المـوت والعـودة إلـى الحيـاة ، أي مفهـوم القيامـة المسـيحية، لقـد حـاول دائمـاً التقريـب بـين الإسـلام والمسـيحية، وكـان يبحـث دائمـاً عـن نقـاط اللقـاء والتشـابه والتـأثير ليصـل إلـى جـو مـن التعـارف والتعـاون والتحابـب بـين أهـالي الـديانتين. كمـا قـام ماسـينيون يبحـث فـي النصـوص الإسـلامية والعقائـد والطقـوس والأدعيـة والخرافـات عـن قاسـم مشـترك بـين هـاتيين الـديانتين، فوجـد ذلـك فـي التصـوف الإسـلامي" الحـلاج" ، والفـرق الشـيعية المتطرفـة، وحاولـة المقاربـة بـين مـريم العـذراء والسـيدة فاطمـة، كمـا بحـث عـن تـأثير الأفلاطونيـة الحديثـة والتـوراة والإنجيـل فـي الفلسـفة والتصـوف الاسـلامي، وألقـى الضـوء علـى سـلمان الفارسـي الـذي كـان مسـيحياً قبـل إسـلامه وفـي خدمـة الكهنـة المسـيحيين، وأصـبح لـه

دور هام بعد إسلامه ، حتى أن الرسول شهد له بأنه من آل البيت، ثم تمتع بتقديس عند الشيعة[1].

وراح ماسينون يمازج بين المفاهيم الإسلامية والمصطلحات المسيحية، فوجد أن مفهوم الجهاد الأكبر وترفعها عن الشهوات والزهد في الدنيا يقترب من مفهوم الرهبانية عند المسيحية، وان نظام الفتوة يشبه نظام الفرسان الصليبيين [2].

حمل ماسينيون على عاتقه قضية التقريب بين الإسلام والمسيحية، وهو الوحيد في ذلك بين المستشرقين المسيحيين، وجمع بين مسيحيته العميقة كرجل دين وبين تقديره للإسلام، ووجد في دراسة التصوف الإسلامي خير طريق لاكتشاف التقارب والتشابه بين الدينين. كما وجد أن إبراز شخصية الحلاج الصوفي المسلم الشهيد خير ما يؤصل المسيحية في الإسلام وكل المستشرقين درسوا التصوف الإسلامي من الخارج، أما ماسينيون فقد درسه من الداخل أي من خلال تجربته المسيحية- الإسلامية وقناعاته الخاصة وتعاطفه مع الحلاج القائل بوحدة الشهود، وأول من قال في الإسلام: " أنا الحق " . وهذا ما سما به إلى اعلى مستويات القداسة والولاية ثم ختم حياته بالشهادة، فلقد رأى ماسينيون في الحلاج شبيها له، كرجل مسيحي له تجربته الصوفية التي وجد فيها ذاته

---

[1] بيير روكالف، لويس ماسينيون والاسلام، لويس ماسينون ما له وما عليه مرجع سابق، ص 188، 189

[2] إيلي الربضي، لويس ماسينيون، مرجع سابق، ص: 55-56.

وتعـاطف مـن خلالهـا مـع البشـرية المعذبـة، كمـا فعـل الحـلاج الـذي وصـل إلـى الحقيقـة بطريقة المجاهدة النفسية والفنا[1] .

[1] عبـدالرزاق الأصـفر، المستشـرق لـويس ماسـينون مـا لـه ومـا عليـه مجلـة التـراث العربـي–مجلـة فصـلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب–دمشق العدد84-83 –ص7

المبحث الثالث: ماسينيون واهتمامه بالتراث العربي.

أولاً– الدراسات الإسلامية:

عرف ماسينيون باحترامه لجميع الأديان، ومنها الإسلام كدين يحمل الكثير من القيم العظيمة، وكان من المهتمين بالإسلام والقرآن الكريم وسيرة الرسول محمد صل الله عليه وسلم، فكان ماسينيون يعتبر الإسلام أنه تعبير حقيقي عن الإيمان التوحيدي، وأنه له رسالة روحية إيجابية تنبذ عبادة الأوثان، بعبارة أخرى فإن الإسلام هو الطاعة والاستسلام لله، وقد درس ماسينيون الإسلام في ضوء مبدأ (النبوة)، ووصل إلى قناعة تامة بأن الرسول سمع ورأى الملاك (جبريل)، وكان يعي ذلك جيداً، ولكن تردّده للوهلة الأولى، دفعه بالاتصال بأهل الديانات السابقة (مشيراً إلى حادثة ورقة بن نوفل)، لقد ابتعد ماسينيون كثيراً عن منهج أصدقائه وزملائه المستشرقين، الساعي للبحث عن وجوه التشابه والاختلاف بين المسيحية والإسلام، أو بينهما وبين دين آخر، مؤمناً بأصالة كل من المسيحية والإسلام واستقلالهما رغم العلاقات الدينية التي تربط بينهما لقد آمن ماسينيون بأصالة الإسلام واعتبره أكبر من أية بدعة مسيحية، فالإسلام برأيه يشكل وحدة عقائدية مستقلة تتمتع بمباركة الرب[1].

تعمق ماسينيون في دراسة الجوانب الشخصية عند الرسول، ليصل إلى الاعتقاد أن محمداً لم يكن كاذباً، إذ أن بساطة النبي وسلوكه يشيران بوضوح بأنه لم يدّع الخوارق، بل كان يصرح دائماً بأنه ليس سوى بشير ونذير، بخلاف ما كان سائداً في المسيحية من

---

[1] إيلي الربضي، لويس ماسينيون، مرجع سابق، ص 49.

الشفاعات والوساطات بين الله والإنسان من خلال صك الغفران التي انتشر بشكل كبير خلال العصور الوسطى (من خلال الكنيسة)، كما يخالف ماسينيون زملائه المستشرقين أن النبي محمد لجأ إلى السلاح لنشر دعوته، بخلاف المسيح، ويؤكد أن اللجوء إلى ذلك اضطرارياً لتحقيق المهمة، التي كلف بإبلاغها، وخلاصة القول (حسب ماسينون) أنه لم يكن للرسول من هدف سوى إيمانه بصدق الرسالة وإبلاغ ما كلف من أمر، وقد درس ماسينيون المذاهب والفرق الإسلامية دراسة مستفيضة من حيث أصولها، نشأتها، ارتباطاتها، وخلفيتها الاجتماعية والسياسية، وكانت تستهويه الحركات الروحية والسياسية في تاريخ الاسلام، فضلاً عن ارتباط تلك الحركات بالطرق الصوفية التي شكل الحلاج منها جزءاً لا يتجزأ من تاريخها[1]

وفي كتابه عن المتنبي الذي ترجمه الدكتور إبراهيم عوض، يعتبر ماسينيون أن النصوص التي كبتها بالعربية طائفة من المؤلفين الإسماعيليين القدماء والتي عثر عليها في مدينتي سورات وبومباي الهنديتين، من شأنها أن تساعدنا على فهم أفضل للوجه المزدوج للقرن الرابع هجري، الذي يسمى " النهضة الإسلامية"، ويتابع ماسينيون قائلاً أما أنها نهضة إسلامية في الفلسفة والعلوم القديمة فهذا لا شك فيه، ولكن باستثناء الفنون مع شعور أعمق بالتدين الذي رافقه الكثير من التجديف مما أدى إلى الخروج عن حدود الدين بحد ذاته، وإلى ظهور عقيدة ثورية جديدة شيعية تدعى " الإسماعيلية". اعتبر ماسينيون ان القرن الرابع الهجري الذي يبدأ بإعلان الخلافة الفاطمية في المهدية، يمكن ان نطلق عليه القرن الاسماعيلي في تاريخ الإسلام، حيث كانت الجمعيات السرية

---

(1) نزار التميمي، مقال " قراءة تاريخية في فكر المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون، مركز النور للدراسات،2016، عن موقع المركز www.alnoor.se تاريخ الدخول 2022/1/13

القرمطيــة، قــد انطلقــت مــن الكوفــة وتغلغلــت فــي جميــع أرجــاء الإمبراطوريــة العباســية، وقــد تتالـــت احكـــام الإعـــدام فـــي حـــق المتـــآمرين القرامطـــة، (مهـــدي ســـنة ٢٩٠) و اعـــدام الحلاج[1].

ومن دراساته الإسلامية العديدة:

- هجرة إسماعيل.
- حولية العالم الاسلامي، بالاشتراك مع مونتيي p.u.F
- ديوان الحلاج، المتصوف الشهيد في الاسلام في أربعة مجلدات.
- غوته والاسلام
- الصهيونية والاسلام
- المكتبة الاسلامية في بندربوشير [2].

ثانياً-الدراسات الصوفية

كــان ماســينيون يــؤمن بــأن التصــوف هــو قطــرة التــدين الأولــى فــي العقائــد البشــرية المختلفــة، باعتبــاره العمــق الروحــي لعقائــد الإنســان أينمــا كــان، ورأى انــه علــى المتصــوف أن يعــد نفســه للتضــحية فــي ســبيل الآخــرين ونصــرة المظلــوم (وســوف يقــوم الباحــث بالتحــدث بشكل مفصّل عن ذلك بالفصل الثالث).

وأمّــا فــي مــا خــص دراســاته الصــوفية، فقــد درس كــل المستشــرقين التصّــوف مــن الخــارج، أمــا ماســينيون فقــد درســه مــن الــداخل، وذلــك مــن خــلال تجربتــه المســيحية-

---

[1] لويس ماسينيون، المتنبي، ترجمة إبراهيم عوض، مرجع سابق، ص 9- 10

[2] نزار التميمي، مقال " قراءة تاريخية في فكر المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون، مرجع سابق

الاسلامية، وقناعاته الخاصة وتعاطفه مع الحلاج، وقد أتقن ماسينيون اللغة الفارسية وحاضر بها وزار ايران والتق بكبار علمائها الدينيين، وقد أورد في دراساته الصوفية آراء الشيعى بالحلاج، (كالطوسي) وأخذ من مراجعهم أيضاً (البقلي والشيرازي) وهذا ردا على من انتقده بأخذ مصادره من الاسلام السني[1].

وقد تتبع ماسينيون نشأة التصوف، منذ البعثة النبوية إلى الحلاج، فأرجع أصل التصوف للبيئة العربية الإسلامبة، وأن مستمد من القرآن الكريم وسيرة النبي وحياته، فقد إعتبر ماسينيون ان النبي أول متصوف في الإسلام، وان الإتجاهات الصوفية الباطنية (التوحيد) كانت ظاهرة على النبي منذ بدء رسالته، وقد وجد ماسينون حادثة الإسراء والمعراج التعبير الحقيقي الذي يجسد إتجاهات النبي الصوفية من خلال الاتحاد بالله.[2]

ويتبنى التفتازاني[3] في « المدخل ... » ما انتهى إليه ماسينيون في بحثه عن أصول المصطلح الفني للتصوف الإسلامي، وهو أن مصادر المصطلحات الصوفية أربعة:

الأول: القرآن وهو أهمها.

الثاني: العلوم العربية الإسلامية من حديث وفقه ونحوها.

والثالث: مصطلحات علماء الكلام الأوائل.

الرابع: اللغة العلمية التي تكونت في الشرق في القرون الستة الأولى المسيحية من اللغات أخرى كاليونانية والفارسية وغيرهما وأصبحت لغة العلم والفلسفة.

---

(1) عبد الرزاق الاصفر، المستشرق لويس ماسينيون ما له وما عليه، مرجع سابق، ص 192.

(2) إيلي الربضي، لويس ماسينيون، مرجع سابق، ص 55 -56.

(3) الإمام سعد الدين التَّفْتَازَانِي (722 هـ – 792هـ)، عالم مسلم، وفقيه متكلم، وأصولي نحوي، للمزيد راجع موقع https://ar.unionpedia.org/ تاريخ الدخول 2022/6/13.

كما يعتمد على ماسينيون اعتماداً كبيراً في مواضع متعددة المدخل ... في تناول : مدارس الزهد ، خاصة مدرسة البصرة (ص 74) وأعلامها (ص 77) ومدرسة الكوفة (ص 78) و زهادها (ص 79 ، 80) وفي ذكره لذي النون (ص ١٠١) والمحاسبي (ص 105) والشطح (120-121) والحلاج (ص 125) ويحيى بن معاذ (ص 132) و الهروي (ص 149) وجلال الدين الرومي (ص 227)[1] .

ومن أبرز دراساته الصوفية:

- أخبار الحلاج
- ديوان الحلاج
- عذاب الحلاج (أربعة مجلدات)، المتصوف الشهيد في الاسلام.
- قبور الأولياء في بغداد.
- تأملات قرآنية أصول المصطلح الصوفي([2]) وغيرها.

ثالثاً-الدراسات التاريخية

إن التطرق إلى أهداف الاستشراق، والوسائل التي يتبعها لتحقيق تلك الأهداف، والمجال الذي يتحرك فيه من الناحية الجغرافية والتاريخية والعلمية يقتضي منا معالجة هذا الموضوع الحساس بروح علمية صارمة لا مجال للعواطف والأهواء الشخصية فيها. بعيداً عن التعصب في المجال العلمي الخالص الذي لا يهم الباحث فيه سوى الموضوعية المطلقة، غير مكترث بأية عوامل أخرى مهما كانت طبيعتها. فالبحث العلمي

[1] أحمد عبد الحليم عطية، الصوفي والسياسي صورة ماسينيون في الفكر العربي المعاصر، ندوة المركز الفرنسي لصداقة والتعاون مع آداب القاهرة، قلب الشرق، 1999، ص 93-94.

[2] عبد الرزاق الاصفر، المستشرق لويس ماسينيون ما له وما عليه، مرجع سابق، ص 190

الصحيح لا يخضع للعواطف والمؤثرات الشخصية أكثر من خضوعه لمناهج البحث العلمي الصارمة والمؤثرات الموضوعية، فلقد تطرق الاستشراق إلى جميع مناحي الحياة الشرقية والإسلامية (والتاريخية)، ولم يدع مجالاً إلا وأدلى فيه بدلوه، ولم يترك شاردة او واردة إلا وقال فيها كلمته، ولم يهمل جزئية أو رأياً مهما كان تافهاً او ضنيناً إلا وأشبعه بحثاً وتحليلاً. إن الاطلاع على آراء المستشرقين، والنظر فيما كتبوه عن الإسلام والمجتمعات الشرقية هو من الأهداف الرئيسية، ذلك أن هؤلاء الناس ينظرون إلى هذه الأمور بمنظار يختلف عما يتعلق بالعقائد السامية، والأخلاق الرفيعة، والتقاليد المتأصلة بجذورها في المجتمع الإسلامي، فالدراسات الاستشرافية بغزارتها، وتعدد مجالاتها، وتناولها لكل القضايا التي تخص الدين الإسلامي قد قام بها أناس ليسوا جميعاً بمنجاة من التعصب والهوى، والميل إلى تصيد أخطاء هذا الدين، وإبراز مساوئ هذا الدين، ومن هنا كان لزماً على كل باحث في المجال التاريخي والإسلامي أيضاً التعرض لهذه الدراسات، كمحلل وناقد لها بأسلوب بعيد عن التعصب والهوى للكشف عن الأخطاء التي تعتريها، وإبراز التحامل الذي يكون من خصائص بعض المستشرقين، والرد على أهوائهم، ودحض أقوالهم بالحجة والبرهان العلميين، والكشف عن حقيقة ما يخفون وراء دراساتهم من أغراض دينية أو استعمارية، أو سياسية، أو اقتصادية[1].

ومن الأمثلة على ذلك ما قام المستشرق الفرنسي ماسينيون، حيث قام بدراسة الأوساط الاجتماعية بالكوفة التي لابد منها لفهم القرون الثلاثة الأولى من الإسلام العربي، حيث يلاحظ ماسينيون فيما يتعلق بالمتنبي ، أن الحي الذي ولد فيه في تلك المدينة هو حي

---

(1) ساسي الحاج، الظاهرة الاستشرافية وأثرها على الدارسات الإسلامية، مركز الدراسات الإسلامية – مالطا، ط1، 1991، 8- 9.

كنـدة[1]، وأن جعفيـا وهــي القبيلـة التــي ينتمــي إليهـا ابـوه عبـدان السـقاء و كانـت مرتبطـة أشـد الارتبــاط بائمـــة الشــيعة، عــلاوة علـــى أن جدتـــه، وهـــي الوحيــدة مـــن أســـرته التـــي رضـــى أن يذكرها في شعره.

وتعتبر الكوفة التي سكنتها إحدى الفرق المتطرفة الشيعية وهي "الخطابية"، قد نجحت في في انشاء حركة واســعة وســرية لاكتســـاب الاتْباع الجدد والتي انتشـــرت من الكوفة الى باقي المدن الكبيرة، كمؤامرة القرامطة. (الى الثورة في الكوفة ٢٩٣،٣١٣،٣١٥،٣١٩،٣٢٥)[2].

لقـد كانــت لماســينيون مهمتــين: الأولـــى تنميــة المفــاهيم المســيحية بــين المســلمين والثانيــة تغييــر نظـرة المسـحيين إلــى الإســلام، لقـد ألقـى الضـوء علـى جوانـب كثيـرة مـن التـراث العربي الإسلامي

ولـذلك كـان كثيـراً مـا يشـارك فـي احتفـالات المسـلمين كليلـة القـدر، وقـد يشـارك فـي صـوم رمضــان ويجعـل تــلاوة سـورة مـن القـرآن ركنـاً معتـاداً، إضــافة إلــى اجتماعــات " البدليــة التــي تضــم مســلمين ومســيحيين" وأمــا موقــف الآخــرين مــن اعمــال ماســينيون: لقــد كــان طلابــه يدهشــون لســعة اطلاعــه وكثــرة مصــادره وغــزارة مــا يــورده مــن الأســماء، فكــانوا بــين مبهــور معجب وبين متشكك. أما العلماء فقد أخذوا عليه مآخذ عديدة منها:

- جمعه بين السياسة والدين والحراسة العلمية.

---

[1] حي كندة وهو من أحياء الكوفة وهي مدينة عراقية ومركز قضاء تتبع إداريا إلى محافظة النجف في منطقة الفرات الأوسط جنوب العاصمة بغداد، وكانت عاصمة للخليفة علي بن أبي طالب (لحكومته) بعد الانتقال من المدينة إليها. للمزيد راجع موقع https://placeandsee.com/ar/alkuft تاريخ الدخول 2022/6/13

[2] لويس ماسينيون، المتنبي، ترجمة ابراهيم عوض، مرجع سابق، ص15

- وتسخيره العلم والبحث لغايات غير علمية.

- سطحية نظرته، وبعده عن التحليل، ووقوعه في أخطاء عديدة بسبب التسرع.

وانتقده زميله هاملتون جب HAMILTON GIBB[(1)] بأن من الصعب وضع خط فاصل بين دقته العلمية وبين اتجاهاته الشخصية وحماسته الذاتية، فقد رفع الحلاج إلى حد نصرته. وانتقده ادوار سعيد في تنظيراته وتعميماته الرعناء، ومجافاته التفسير والتحليل حتى غدت بحوثه ركاماً بلا روح، وبأن الزمن تجاوزه لأن العالم الإسلامي يتقدم ويتطور باتجاه العلمانية والتكنولوجيا. وكان عليه أن يساعده على تجاوز جمود الماضي إلى الحداثة المادية الغربية بدلاً من الحفاظ على القيم التقليدية [2].

كما ألقى أضواء كثيرة على جوانب من التراث الإسلامي والحضارة الإسلامية وشجع كثيرين من رجال الدين على القيام بدراسات إسلامية. ودعا إلى المقاربة بين الديانتين العظيمتين، واعتراف كل منهما بالأخرى، والتعاون في سبيل خير الإنسان، ولا يخفى أن هذه الناحية لها الآن حضور على الساحة الإسلامية المسيحية. وشجع على دراسة التصوف الإسلامي، وتأثر بروحانيته وإيمانه اساتذة جامعيون ودارسون عديدون، وكان له إشعاع خاص في إيران والأوساط الشيعية والأفغانية التقدمية. وكان له في نطاق السياسة والتاريخ مواقف إيجابية عديدة، مثل دفاعه عن الإسلام والمسلمين والمضطهدين والمحرومين. وقد بين أخطاء الغرب، ولا سيما فرنسا وإنجلترا، في ازدراء بلاد الشرق

---

(1) هامِلْتُون ألكسندر روسكن جب (المتوفى. 1391 هـ / 1971 م) هو مستشرق بريطاني. يعرف اختصاراً بـ "H. A. R. Gibb".ولد في مدينة الإسكندرية، للمزيد راجع موقع https://www.scribd.com/document/ تاريخ الدخول 2022/6/23.

(2) عبد الرزاق الاصفر، المستشرق لويس ماسينيون ما له وما عليه، مرجع سابق، ص 190-191

الأوسط وشعوبها وطالبهم بالعدل. وناصر حركة الجزائر، وعودة الشرعية إلى المغرب، والحركة الغاندية الداعية إلى استقلال الهند والقضية الفلسطينية [1]

رابعاً-الدراسات الأدبية

إن تتداخل الدوافع، مع الأهداف لتصبح شيء واحد، فالأهداف التي أراد الاستشراق تحقيقها كان دافعها الأساسي، أن رجال الدين النصراني رأوا قوة الإسلام دافعة لدخول فيه، واستيلاء الإسلام على أرض كانت النصرانية هي الدين الوحيد فيها، حتى أصبح النصارى قلة تخاف هؤلاء على مكانتهم ، ومكاسبهم الدنيوية، والدينية، مما أجج أحقادهم فكان لابد أن يقفوا في وجه الإسلام، من أجل النصرانية، فكان هدفهم الديني يدفعه الدين وغايته معرفة الإسلام محاربته وتشويهه، وإبعاد النصارى عنه، ودعوة المسلمين إلى النصرانية، فكان هدفهم الديني يقف على القمة . أما الأهداف الأخرى، التنصيرية، والاستعمارية، والاقتصادية ونشر الثقافة الغربية، كلها تدعم وتساند الهدف الأول. وقد استخدم المستشرقين وسائل متعددة ، ومختلفة التحقيق أهدافهم([2]).

لم تكن أوروبا تنهض نهضتها دون أن تأخذ بأسباب ذلك وهو دراسة منجزات الحضارة الإسلامية. فقد رأى زعماء أوروبا أنه إذا كانت أوروبا تريد النهوض الحضاري والعلمي فعليها بالتوجه إلى بواطن العلم تدرس لغاته وآدابه وحضارته. فنكب الغربيون على دراسة

---

[1] عبد الرزاق الاصفر، المستشرق لويس ماسينيون ما له وما عليه، مرجع سابق، ص 193-194

[2] سعد آل حميد، أهداف الاستشراق ووسائله، بحث مقدم لقسم الثقافة الإسلامية – كاية التربية- جامعة الملك سعود،1424هـ، ص :1

الكتب الإسلامية، فلم يتركوا مجال كتب فيه العلماء المسلمون حتى درسوا هذه الكتابات، وترجموا عنها وأخذوا منها[1].

ويمكن القول : إن الدافع العلمي تمثل على النحو التالي : وهو البحث عن نقاط القوة في الدين الإسلامي، وفي المسلمين للإفادة منها في نهضة الشعوب الأوربية، بناء على وصية علماء الغرب وخاصة عندما فتح المسلمون الأندلس، وأقاموا فيها حضارة زاهرة، واكبها نهضة علمية خارقة، فحرص المستشرقون على أن ينهلوا من علوم الشرق الإسلامي، ويقتبس من حضارته لينهضوا مثل المسلمين، فكان لابد من تعلم اللغة العربية والتتلمذ على أيدي علماء المسلمين ، والرحلة إلى حيث يقيمون([2]).

ولم يقفوا عند ذلك بل نقلوا إلى أهليهم في الغرب ما أخذوه عن المسلمين من علوم حتى يتفوقوا عليهم، ويتخلصوا من سيطرتهم، وقد ظل هؤلاء المستشرقون يدرسون وينقلون تلك العلوم على يد العرب والمسلمين محتفظين لأنفسهم بعقائدهم، واتجاهاتهم البغيضة نحو الإسلام والمسلمين. اضافة إلى البحث للمعرفة واطلاع على حضارات الأمم وأديانها، وثقافاتها، ولغاتها، وهؤلاء كانوا أقل خطأ في فهم الإسلام وتراثه، لأنهم لم يكونوا يتعمدون الدس، والتحريف، فجاءت أبحاثهم أسلم من أبحاث كثير من المستشرقين، رغم وجود الخطأ فيها[3].

لقد كان لويس ماسينيون يحب اللغة العربية حباً عظيماً، فلقد عشق العربية وأدبها وفلسفتها ، يؤمن بأنها لغة الوحي ، كما يؤمن كل مسلم، ويعتقد أن مجد العربية إنما يقوم

---

[1] محمد البشير، مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، 2002، ص 63.

[2] سعد آل حميد، أهداف الاستشراق ووسائله، مرجع سابق، ص 9

[3] محمد اسماعيل، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، ط1، 1998 ص 39.

علـى هـذه القداسـة التـي تربطهـا بـالنص الكـريم، وقـد التحـق بـالأزهر، حيـث جلـس إلـى شـيوخه فـي حلقـات دروسـهم وناقشـهم، وتمـرس بقـراءة كتـب التـراث العربـي الإسـلامي لقـد ألقـى ماسـينيون بحوثـا عديـدة دعـاً فيهـا إلـى جمـع المصـطلحات العلميـة والفنيـة فـي التـراث العربـي والإسـلامي، ولقـد جمـع ماسـينيون مصـطلحات فـي القـرى وإكـرام الضـيف ، وعقـد موازنـة طريفـة بـين اللغـات العالميـة، وقسّـمها إلـى ثـلاث أسـر: سـامية، وهنـدو أوروبيـة، وطورانيـة، ولاحـظ أن العربيـة فـي أغلبهـا ثلاثيـة الأصـول، وانهـا لغـة سـواكن وهـي أكثـر السـاميات احتفـاظ بسـواكنها، ولنبـرات الصـوت شـأنها فـي توضـيح المعنـى، وقـد درس ماسـينيون النحـو العربـي، ويـرى فيـه عبقريـة جعلتـه ذا أثـر فـي النحـو العبـري وغيـره، ويـرى أن للفـظ أو التركيـب اللغـوي دلالـة أخـرى وراء الدلالـة القريبـة المألوفـة، وممـا يـؤثر عـن ماسـينيون رفـض اسـتعمال اللغـة العاميـة فـي الكتابـة والقـراءة، حتـى الشـعوب العربيـة بلغتهـا موحـدة اللغـة والفكر والثقافة.[1]

كمـا درس الخـط العربـي، حتـى شـغفه حبـاً ودعـا إلـى اسـتخدامه فـي الفـن التشـكيلي، وقـد رأى أن الحركـات فـوق الحـروف أو أسـفلها تجعـل للخـط العربـي خصوصـية جماليـة ينفـرد بهـا عـن الخـط عنـد الغـربيين وغيـرهم ولهـذا عاتبـه بعـض بنـي قومـه، بسـبب امتداحـه العربيـة وهيامـه بهـا، وقـد كـان اتهـم بالمبالغـة فـي امتـداح اللغـة العربيـة التـي كـان أسـيرا لجمالهـا وحسـن أدائهـا وروعـة اشـكالها وخفـة حروفهـا. ويـرى ماسـينيون أن العربيـة لغـة حضـارة تسـتطيع بألفاظهـا وتراكيبهـا أن تـؤدي أدق المعـاني، وفـي نحوهـا كمـال ودقـة لـم تتـوفر لأي نحـو آخـر، وربمـا امتـدت إليهـا آثـار يونانيـة أو سـريانية، ولكنـه النحـو العبـري والسـرياني، وجـدير بنـا (والكـلام لماسـينيون) ألا نسـتجيب لـدعوة الـبعض الـذين يريـدون أن يحلـوا محلـه

[1] إيلي الربضي، لويس ماسينيون، مرجع سابق، ص 45

نحواً أوروبيا، ليتيسر تعليمه، ولا يصح مطلقاً أن نعدل أصوله، وقد قام بدراسة وهي (خطرات في الاحتفاظ بعبقرية النحو العربي)، يقول ماسينيون:" لقد فهمت أن اختراع الإعراب يزعمه أكثر المستشرقين، اختراعاً باطلاً. وانما هو توحد صحيح، وربط بين الأسماء والأفعال المضارعة والجمل التي لها محل من الإعراب. وهذا فضل للغة العربية، فضل عظيم لا يمكن المحافظة عليه إلا بالاستمساك بالكتابة العربية ، أما الاعتراض بان هذا إبقاء للتعقيد، فأجيب عنه بأن هذه رياضة مثل اختراع الروي لصناعة الشعر [1].

- **النقد الادبي (الدراسات الأدبية):**

ويعتبر ماسينيون ان أعمال ابي علاء المعري الأدبية تحمل في طياتها بذور الشك المنهجي والتهكم التمردي اللذين كانت تتضمنها التعاليم الدعائية السرية للجمعيات الفكرية الإسماعيلية، وان استاذه وصديقه كان الشيرازي الذي كان داعياً اسماعيلياً كبيراً[2]

ونفس الامر بالنسبة للمتنبي، حيث يتحدث ماسينيون ان مؤرخ الادب لم يستطع ان يهمل بعد الآن التهور الذي أقدم عليه الشاعر (المتني) في شبابه وقبض عليه اثناءه بوصفه المتنبي.

ولكن الحقيقة التي دفعت أغلب المستشرقين على تعلم اللغة العربية، وآدابها، ليتم لهم قراءة العلوم الإسلامية، والتعرف على مبادئ الإسلام، ومصادره، وشعوبه، ووضع الخطط، والتصورات المناسبة لتشكيك المسلمين في دينهم، وتشويه صورته أمامهم حتى

---

[1] إيلي الربضي، لويس ماسينيون، مرجع سابق، ص 46- 47

[2] لويس ماسينيون، المتنبي، ترجمة إبراهيم عوض، مرجع سابق، ص 10

يســهل علــيهم القيــام بأعمــال التبشــير بيــنهم فانضــمت بــذلك حركــة الاستشــراق ، مــع حركــة التبشير لتكونا معول هدم للإسلام ، وتنصير المسلمين[1].

---

[1] سعد آل حميد، أهداف الاستشراق ووسائله، مرجع سابق، ص 8-9.

خاتمة الفصل الثاني

لقد حفلت الثقافة العربيّة المعاصرة والدراسات الإسلامية الحديثة بكتاباتٍ متعدّدةٍ لماسينيون، ودراساتٍ كثيرةٍ حول جهوده المختلفة، وازداد الاهتمام بالكتابة عنه باعتباره ممثّلاً للموضوعيّة والنّزاهة العلميّة والإنصاف للعرب والمسلمين، ويمكن القول مما تقدم أن الدراسات التي قام بها ماسينيون كانت على قدر واسع من الأهمية إن كان على صعيد القرآن الكريم أو الأدب العربي والدراسات التاريخية والصوفية والاسلامية وغيرها، على رغم وجود بعض الشبهات التي تعرضت له هذه الدراسة، فماسينيون يتعرض دائما في موضوع بحثه حول النزعة الثورية للقرامطة والشيعة ملمحاً بشكل أو بآخر لإعجابه بها، فالثورة على الواقع المر هو من عشق ماسينيون للتصوف وللحلاج الشهيد الصوفي، من غير المقبول التحدث عن التاريخ الإسلامي والحكم عليه من خلال شخصيات معينة، قد أجمع عليها العلماء أنها متمردة.. مع القفزة النوعية عن تاريخ الخلفاء الراشدين والتركيز على القرن الرابع هجرة حيث ظهور القرامطة والاسماعيلية، إن صداقة ماسينيون مع الشيعة وقربه منهم قد أثرت في كتابته في كثير من الأحيان.

ولكن ذلك لا ينفي علمه وثقافته ومحاولته للسير نحو الاعتدال ومواقفه من القضايا العربية (الفلسطينية) وتأييده لهم، غير أن الدور الذي لعبه كضابط فرنسي ثم مستشار فرنسي في اتفاقية سايكس بيكو، قد طرح أسئلة بالخط العريض حول موقفه وشخصيته وأهدافه الكامنة، مع إعتبار أن الشعوب المستعمرة من قبل الانتداب غير قادرة على اتخاذ موقف من وحدتها وطريقة العيش المشترك في بلده مدافعاً عن الوجود الفرنسي في الجزائر.

الفصل الثالث: رؤية ماسينيون ومنهجه في التعامل مع التراث العربي

المبحث الأول: موقفه من اللغة العربية والإسلام.

المبحث الثاني: رؤيته للواقع العربي وموقفه من التراث العربي المخطوط.

المبحث الثالث: منهجه في فهم معنى التصوف وتعريفه.

المبحث الرابع: منهجه في تأويل نصوص الحلاج.

خاتمة واستنتاجات

مقدمة الفصل

إن الاستشراق سلاح ذو حدين، فتارة هو لنا واخرى علينا، فما لنا فيه هو تقديم الشرق إلى الغربيين وتعريفهم به ، فالمعلومات عن الشرق ، تدين في نقلها إلى الغرب للمستشرقين مهما كان شكل ذلك النقل، فلولاهم لساد جهلهم بنا فيما مضى فقد قام المستشرقون بنقل تراثنا وحضارتنا وقرآننا وحديث سيدنا محمد (صل الله عليه وسلم)، وفقه ديننا الحنيف وفلسفتنا الإسلامية وحياة مجتمعنا العربي الإسلامي إلى الغربيين لأن الشرقي بل قل المسلم في القرون المتأخرة لم يستطع أن يعبر لهم عن هذه الأمور، فحل المستشرق محل الشرقي فيها ، وهنا لا بد من تذكر مواقف اجدادنا فيما سبق ، وخصوصاً الفتوحات ، إذ كان الدعاة المسلمون قد أوصلوا الإسلام لكل العالم بشتى السبل ، وكان أن دانت الرقاب للمسلمين معظمها طوعاً، ودان الكثيرون بالإسلام وعقيدته وكان من المسلمين من يتعلم لغة الأقوام ، سواء لغة الكلام أو العقيدة فيحاورهم بها فيهدي بها الكثيرين ، وكتبنا تمتلئ بالحديث عن أهل الكتاب أو المشركين والتعريف بهم والحديث عنهم . هكذا كان أجدادنا اما في العصور الأخيرة ، فقد أصاب الناس بعض عجز، واصبحت اللغات حاجزا صعب العبور إلى الشعوب الأخرى ، فلم يعد المسلم مهما بلغ من الثقافة أن يصل إلى عقل الغربي ليقدم له الإسلام [1].

إذن ففي المستشرقين شخصان، الأول: من يتحدث عنا، يريد تقدمنا خدمة لقومه ولأسباب شتى، ويكون في كثير من الأحيان صادقة في أمر. وأما الثاني: من يتعهد الإساءة إلينا بدءً، فهو حاقد إما بدافعه الشخصي أو بتكليف من جهات يخدمها، كخدمة الأجهزة

[1] سعدون محمود الساموك، الاستشراق الروسي، دار المناهج، عمان،2003، ص 102

الاستخبارية الغربية أو خدمة التبشير العالمي الذي هو الآخر صورة من صور الاستخبارات الغربية حيث يقدم الخدمات لها بشتى الطرق.

، رغم أن البعض من مستشرقين خدم التراث العربي الإسلامي في البحث والتحقيق وبرزت اسماء كثيرة في عالم الاستشراق الفرنسي ومن أبرزهم ماسينيون.

لا اتصال حقيقياً يدوم طويلاً ولا معرفة ولا احتكاك فعالاً بين إنسان وآخر أو شعب وشعب آخر من غير لغة، وبدهي جداً بناءً على هذا أن تعد اللّغة من أهم مداخل الاستشراق الذي هو العلم بالشرق أو علم العالَم الشرقي. فالصلة بين الاستشراق واللغة قوية جداً، وقد بالغ بعض الدارسين في ذلك فذهب إلى أن الاستشراق علم يختص بفقه اللغة خاصة، والصواب أن هذا الجانب وإن يكن من أكثر الجوانب التي اهتم بها المستشرقون لا يمثل النشاط الاستشراقي كله، لأنه قام أيضاً بدراسات شملت الأديان والعادات والنظم والأفكار وغير ذلك. وتتجلى العلاقة القوية بين الاستشراق واللغة العربية خاصة في اهتمام المستشرقين الواضح بتعلمها ودراستها عبر تاريخه الطويل، بعد أن كان الجهل باللغة له أثره الكبير في تعميق العداء وسوء التفاهم بين العرب وأوروبا في العصور الوسطى، فلم يكن عامة الناس يفهمون الذي يجري في بلادهم، وصعب عليهم أن يفهموا موقف المسلمين الفاتحين وأن يعوا مبادئ الإسلام كمبدأ الجزية أو الحرب عند رفض الدخول في الإسلام، وزاد الطين بلة في هذا أن القساوسة كانوا هم الذين يقومون بدور المترجم، وقد جمع هؤلاء إلى جهلهم باللغة حقدهم الشديد على الإسلام والمسلمين، فنقلوا إلى مواطنيهم كل شيء عن الإسلام بعد تحريفه ..

المبحث الأول: موقفه من اللغة العربية والإسلام.

- **موقفه من اللغة العربية:**

يقول ماسينيون عن اللغة العربية "ولتكن خطبتي هذه تحية عاشق عاجز لشرف تلك اللغة العربية، ولغاتنا في المجمع .....". كان لويس ماسينيون يحب اللغة العربية حباً عظيماً، فلقد عشق العربية وآدبها وفلسفتها، وهو يؤمن بأنها لغة الوحي كما يؤمن كل مسلم، ويعتقد أن مجد العربية إنما يقوم على هذه القداسة التي تربطها بالنص الكريم، فالعربية عنده وظيفة دينية، لأنها تعبر عن أوامر الله تعالى، ووسيلة التأمل والمناجاة، ومنه استمدت مجدها وقداستها، ولقد أحبها لأنه وجد فيها نفسه وتعمق فيها، وكشف كثير من أسرارها، التي لم تكشف لغيره، وكان يروقه منها أنها لغة مركزة، تنبعث من ألفاظها المعاني، كما تنبعث الشرارة من الحجر . وهي تجيد التعبير عن المجردات، فهي للتقرب والعبادة أيضاً، ولم تصل واحدة من أخواتها إلى مستواها، وبدت فيها العبقرية السامية على أوضح وأكمل صورة، وكما عشق ماسينيون العربية عاش محباً لأهلها الماضين والمعاصرين، متنقلاً في ديار العروبة والإسلام شرقاً وغرباً مناصراً لقضاياهم في التحرر والاستقلال. وقد دفعه عشقه للعربية، إلى الالتحاق بالأزهر، حيث جلس إلى شيوخه في حلقات دروسهم وناقشهم، وتمرس بقراءة كتب التراث العربي الإسلامي(1).

لقد ألقى ماسينيون بحوثاً عديدة دعا فيها إلى جمع المصطلحات العلمية والفنية في التراث العربي والإسلامي ، ولقد جمع ماسينيون مصطلحات في القرى وإكرام الضيف

[1] إيلي الربضي، لويس ماسينيون، مرجع سابق، ص 45

وفـي محاضـرة القهـا علـى جماعـة الكـرملين ، عقـد موازنـة طريفـة اللغـات العالميـة ، وقسـمها إلـى ثـلاث أسـرة سـامية ، وهنـدو أوروبيـة ، وطورانيـة، ولاحـظ أن العربيـة فـي أغلبهـا ثلاثيـة الأصـول ، وانهـا لغـة سـواكن وهـي أكثـر السـاميات احتفـاظ بسـواكنها ، ولنبـرات الصـوت شـأنهاه توضـيح المعنـى وكـان ماسـينيون مبهـوراً بـالنحو العربـي، ويـرى فيـه عبقريـة جعلتـه ذا أثـر فـي النحـو العبـري وغيـره، ويـرى أن للفـظ أو التركيـب اللغـوي دلالـة أخـرى وراء الدلالـة القريبـة المألوفـة، وممـا يـؤثر عـن ماسـينيون رفضـه اسـتعمال اللغـة العاميـة فـي الكتابـة والقـراءة. كـان ماسـينيون مفتونـاً بـالخط العربـي، حتـى شـغفه حبـاً، و دعـا إلـى اسـتخدامه فـي الفـن التشـكيلي، وقـد رأى أن الحركـات فـوق الحـروف أو أسـفلها تجعـل للخـط العربـي خصوصـية جماليـة ينفـرد بهـا عـن الخـط عنـد الغـربيين وغيـرهم ولهـذا عاتبـه بعـض بنـي قومـه، بسـبب امتداحـه العربيـة وهيامـه بهـا، وقـد كـان اتهـم بالمبالغـة فـي امتـداح اللغـة العربيـة التـي كـان أسـيراً لجمالهـا وحسـن أدائهـا وروعـة اشـكالها وخفـة حروفهـا . ويـرى ماسـينيون أن العربيـة لغـة حضـارة تسـتطيع بألفاظهـا وتراكيبهـا أن تـؤدي أدق المعـاني، وفـي نحوهـا كمـال ودقـة لـم تتـوفر لأي نحـو آخـر ، وربمـا امتـدت إليهـا آثـار يونانيـة أو سـريانية، ولكنـه النحـو العبـري والسـرياني، وجـدير بنـا (والكـلام لماسـينيون) ألا نسـتجيب لـدعوة الـبعض الـذين يريـدون أن يحلـوا محلـه نحـواً أوروبيـاً ، ليتيسـر تعليمـه ، ولا يصـح مطلقـاً أن نعـدل أصوله[1].

وفـي بحثـه المهـم (خطـرات فـي الاحتفـاظ بعبقريـة النحـو العربـي)، يقـول ماسـينيون:" لقـد فهمـت أن اختـراع الإعـراب يـزعم أكثـر المستشـرقين، اختراعـاً بـاطلاً وانمـا هـو توحـد صـحيح، وربـط بـين الأسـماء والأفعـل المضـارعة والجمـل التـي لهـا محـل مـن الإعـراب" . وهـذا فضـل

[1] إيلي الربضي، لويس ماسينيون، مرجع سابق، ص 45 -46.

للغـة العربيـة ، لا يمكـن المحافظـة عليـه إلا بالاستمســاك بالكتابـة العربيـة ، أمـا الاعتـراض بان هذا إبقاء للتعقيد ، فلنعتبره رياضة مثل اختراع الروي لصناعة الشعر [1]

[1] إيلي الربضي، لويس ماسينيون، مرجع سابق، ص 47.

المبحث الثاني: رؤيته للواقع العربي وموقفه من التراث العربي المخطوط.

ولعب دوراً، اساسياً في مجال التاريخ السياسي في منطقتنا بل كان واحدا من صناع الاحداث التاريخية الكبرى التي زلزلت مجتمعاتنا، منذ ان اصبح مستشاراً سياسياً للدبلوماسي الفرنسي فرانسوا جورج بيكو في الاتفاق الذي وقعه باسم دولته مع ممثل بريطانيا الدبلوماسي السير مارك سايكس، في ما عرف باتفاقية سايكس – بيكو التي قسمت فيها الدولتان وتقاسمتا المنطقة العربية[1]..

وحين نشأت الحرب العالمية الثانية، عاد فوضع نفسه بتصرف الجنرال ويغاند وقد التقارير الخارجية لبلاده، وخدم برتبة قائد كتيبة ثم معاوناً لجيردو وزير الإعلام، وبإنهاء الحرب العالمية الثانية عاد لنشاطه الاستشراقي وعين رئيساً لامتحانات الإغريغاسيون (التبريز) [2] في الدراسات العربية.

وباشتعال حرب فلسطين أدى مهمات كثيرة لبلاده، فقد زار فلسطين وبدأ بوضع التقارير للوزارة الخارجية الفرنسية، وقد ظهر متعاطفاً مع العرب من الناحية الإنسانية[3].

---

[1] علي بدر، ماسينيون في بغداد من الإهتداء الصوفي إلى الهداية الكولونية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، مرجع سابق، ص : 22

[2] التبريز هي أعلى شهادة جامعية للتدريس في التعليم الثانوي أو العالي وهي في الأهمية تأتي مباشرة بعد الدكتوراه، وهي عبارة عن مناظرة انتداب، أي أنّ الناجحين في الحصول على شهادة التبريز يلتحقون مباشرة بوزارة التربية أو بوزارة التعليم العالي ويباشرون التدريس في خطّة أستاذ مبرز، للمزيد راجع موقع https://www.maghress.com/almassae تاريخ الدخول 2022/6/13

[3] بيير روكالف، لويس ماسينيون والاسلام، ترجمة وتلخيص عبدالرزاق الأصفر،المستشرق لويس ماسينون ما له وما عليه مرجع سابق، ص 187.

ويقدم ماسينيون في بداية بحثه عن (الحركات الحديثة في العالم الإسلامي- إفريقيا ما عدا مصر)، الذي يمثل الفصل الثاني من كتابه المشترك مع هاملتون جب (وجهة الإسلام)، بمقدمة هامة توضح الهدف الحقيقي للبحث، إذا يشير ماسينيون أنه يجب قبل البحث في حركات الفكر الإسلامي الحاضرة، علينا ان فنهم أسباب تلك الحركات وما يميزها، ويرى ان يتم ذلك بأن تربط بين الحوادث المتتالية لنكّون منها سلسة يظهر فيها التطور وهو منهج يندر وجوده بين المسلمين، حيث يصف ماسينيون أن هذه الحركات تظهر كالبرق الخاطف والهزات التي لا تستغرق زمناً، تستعد بخفاء وصمت وتندلع فجأة دون أن يسبقها نذير، ويحلل هذه الحركات على الشكل التالي : أول هذه الحركات "النداء" وهو النداء الباطني الذي يهيب بالضمير الإنساني الاجتماعي ويوقظه وإذا ظل في حال هدوء أو في حال قعود أو تقية أو كتمان، والهدف منه أن ندرك أي أساس واهٍ تقوم عليه المنشآت الأوروبية في بلاد الإسلام، فبعد أعوام من السكينة ربما تندلع بغتة نار الدعوة إلى الجهاد ونحن أبعد ما نكون عن توقع ذلك كما يقول ماسينيون[1].

كما يقارن ماسينيون في البيئة الاجتماعية الإسلامية في المغرب بنظريتها في المشرق، ويميز أيضاً بين ثلاثة اتجاهات في الفكر الإسلامي في المغرب:

- حزب السلفيين المتشددين الذي ينزع نزع نصف وهابية، وهو شعبة من الحركة التي تمثلها مجلة المنار في القاهرة، لذلك يحتفظ بصلة معها ويرتسم خطاها، وله برنامجه المنطوي بالرجوع إلى تعاليم القرآن التي يتطرق إليها الفساد.

---

[1] أحمد عبد الحليم عطية، الصوفي والسياسي صورة ماسينيون في الفكر العربي المعاصر، مرجع سابق، ص 108-107

- الحركة الإصلاحية التي غايتها فصل الدين عن الدولة، ويقود هذه الحركة طلاب المدارس الفرنسية والموظفون وينشرون آرائهم في الجرائد التي تصدر بالفرنسية.
- الفرقة الثالثة وهي من إتباع الطرق الصوفية القديمة، وشخصيات منفردة مثل غلام الله، الذي يدعو إلى سياسة ترمي لعقد اتفاق ديني بين الإسلام والحكومة الفرنسية.

ويضيف ماسينيون موضوع الهوية والتي أثارت ثلاث تيارات فكرية ، فهناك حزب يقتصر على قليل من المثقفين ثقافة فرنسية ويرى حل المسألة في اتخاذ الجنسية الفرنسية إتخاذاً تاماً، وأما الحل الثاني فهو بعث أمة مغربية تقوم على فكرة جنس أصلي (بربري)، والحل الثالث هو فكرة الجامعة العربية التي ترمي إلى تقريب الاواصر بين أقلية العربية في المدن المغربية وبين الشرق العربي بإعادة تنظيم اللغة العربية الفصحة، وكل زعماء السلفيين والصوفيين يؤيدون الجامعة العربية تأييداً تاماً، ويتابع ماسينيون تحليل القضايا التي تشغل الاتجاهات الدينية المختلفة في شمال إفريقيا، وهي مسألة الإتحاد لتكوين جبهة لتحقيق الغايات السياسية التي يطمح إليها الجميع، بالإضافة إلى إصلاح في الشريعة الإسلامية ومسألة مكانة المرأة والنواحية الإقتصادية وإدخال الإصلاح عليها من جهة تنظيم النقابات والإتحاد الصناعي[1] .

يذكر ماسينيون في خاتمة بحثه أن المشرق لا يزال يؤثر في مسلمي الغرب تأثيراً لا ينكر ولا سيما في مسألة الجاعمة العربية، ولكن يضيف أن تيار التطوير يتجه نحو باريس لا إلى المشرق.

---

[1] أحمد عبدالحليم عطية، الصوفي والسياسي صورة ماسينيون في الفكر العربي المعاصر، مرجع سابق ص: 109-110-111

إن هـذا الإهتمـام الـدائم بالوضـع الـديني والإجتمـاعي فـي المجتمعـات العربيـة الإسـلامية يتوجـه بـه ماسـينيون للمجتمـع الأوروبـي ولـيس للعربـي، ويظهـر فيـه توضـيح للميـل نحـو الأنظمـة الغربيـة مـيلاً مقـابلاً للإتجـاه نحـو المشـرق، بـل يظهـر فيـه التأكيـد علـى الفـروق بـين المشرق والمغرب[1].

وأمـا فيمـا خـص التـراث العربـي المخطـوط فكمـا تـم الإشـارة سـابقاً، فقـد إهـتم ماسـينون بدراسـة التـراث العربـي الإسـلامي، والمخطـوط وهـي عديـدة، مثـال علـى ذلـك مـا قـام بـه ماسـينيون فـي كتـاب خطـط البصـرة وبغـداد، حيـث يتحـدث هـذا الكتـاب عـن الطريقـة التـي اتبعـت لإعـادة رسـم خطـة البصـرة وكيفيـة القيـام بإثبـات معالمهـا، مبينـاً نظـام الحركـة الداخليـة فـي البصـرة وامتـداد البنـي الثقافيـة البصـرية فـي الأقـاليم التابعـة لهـا، بالإضـافة إلـى جـدول يشـتمل علـى المواقع الخمسة للقبائل[2].

تمثـل هـذه الدراسـة، التـي بـدأ بهـا ماسـينيون سـنة 1935 م، عقـب دراسـته فـي " خطـط "القسـم الثالـث مـن تنقيباتـه عـن وضـع السـكان المـدنيين فـي مـدن العـراق منـذ الفـتح الإسـلامي. ولـم يسـتطع أن يعطـي إلا ملاحظـات عامـة عـن محـال أصـحاب الحـرف فـي " المـدائن " فـي دراسـته عـن سـلمان بـاك[3]، فـي مقالتـه عـن الفتـوة فـي المكـان الـذي كثيـرا مـا زاره ، الذي كان قد جرت فيه تنقيبات دون أن يكتشف أي أثر يدل على السكنى[4].

وأمـا فـي مـا خـص مخطـط الكوفـة فيقـول ماسـينيون: ولـو أن لهـاوزن ولامـانس قـد فكـرا فـي وضـع خارطـة للكوفـة القديمـة، ولكـن حتـى الآن لـم يحـاول أحـد تحقيقهـا وإخراجهـا إلـى حيـز

---

[1] أحمد عبد الحليم عطية، الصوفي والسياسي صورة ماسينيون في الفكر العربي المعاصر، مرجع سابق، ص: 11

[2] إيلي الربضي، لويس ماسينيون، مرجع سابق، ص 40

[3]مدينة عراقية تقع على بعد بضعة كيلومترات جنوب شرق بغداد.

[4] إيلي الربضي، لويس ماسينيون، مرجع سابق، ص 40،41

الوجود،وكنت قد لاحظت هذا النقص في بعثتي الأولى في العراق، وأخيراً شعرت أكثر من ذي قبل في لزوم مثل هذا العمل حينما طفقت أدرس أصول التشييع، وأبحث عنها ما دام أكثر الفرق الأمامية نشأت في الكوفة،وهذه الخريطة ليست سوى ترسيم وتخطيط بسيط وأنا أخف فيها النواقص، ولم أستر النقاط المشكوكة، بل وضعتها كما هي، لأن غايتي ليست فقط أن تكون مساعدة على درس التاريخ العراقي الإسلامي، بل كذلك للدرس الاجتماعي في كيفية ائتلاف الأعراب لحياة المدن وتحضرهم. ولقد زرت أطلال الكوفة مرتين في فترة ربع قرن، ففي زيارتي الأولى سنة 1908 لم أتمكن من نقل شيء سوى بعض الصور الفوتوغرافية. ولكن في زيارتي الأخرى سنة 1934 خرجت بالسيارة، وليس على ظهر الفرس كالمرة الأولى، ومعي دليل قد هيأه لي أصدقائي الشيعة بالنجف، فالكوفة كانت مركزا مهما لحادث اجتماعي عظيم، وعاصمة لتأسيس الحضارة الإسلامية آنذاك، وهي اليوم أيضا عاصمة واسعة لمستقبل اللغة العربية وعلومها، ولم تكن أختها البصرة، ولا دمشق حتى ولا الفسطاط والقيروان، لتعرض لنا صورة واضحة رصينة كالكوفة، وذلك في التمصير وتثبيت القبائل البدوية الفاتحة المنتصرة واستقرارها على حافة الصحراء في مماس إلى لسان من الرمل اليابس النافذ في منطقة تروى بمياه شط عظيم "الفرات"، وفي جزء من ذلك القطر الذي كانت له مدينه زاهية زاهرة في الأزمنة الغابرة»[1]

[1] إيلي الربضي، لويس ماسينيون، مرجع سابق، ص: 90-100-101.

أما عن الطبوغرافيا التاريخية لمدينة بغداد، فقد مكنته التنقيبات التي قام بها في هذه المدينة من نقد الخطة التي وضعها لسترانج[1] سنة 1900 م لمدينة بغداد، كما اضطرته إلى أن يتقبل بحذر وتحفظ الخطة التي افترضها السيد مصطفى جواد[(2)]، منذ عام 1934 إننا لا يمكن أن نحقق أية خطة شاملة، ما دمنا لم نقم بتنقيبات في الموضع الذي يقع فيه جامع المنصور، وما دام لا يوجد الكثير من الإشارات والمعالم المشاهدة، وذلك لا يتهيأ إلا بالفحص الشامل للوثائق المتعلقة بملكية الأرض وحدودها وأوصافها وملكية العقارات ونحوها. وحيث يقول ماسينيون في هذا الكتاب: " كنت قد نشرت مخططاً طوبوغرافياً للكوفة اتخذته فرضية للعمل، كما أني نجحت في كوني قد دفعت علماء من النجف للقيام بمباحث تاريخية دقيقة، ولقد حلت أن أجريت تنقيبات قام بها الأستاذ كريسول للتأكد من فرضيتي التي قامت وقد اعتمدت على صغر القصر وانكماشه بالنسبة لجامع الكوفة، وكان علي أن أستأنف المسألة لأبسط من الأبعاد التي حددتها في المخطط المفترض. أما فيما يخص البصرة فإن المخطط الذي يقوم على تخمينات منهجية كنت قد رسمتها وأبرزتها للعلماء من أن أضعه هنا في القاهرة في 21 شباط سنة 1946 ، وكذلك في بغداد في ١٥ كانون الأول سنة ١٩٥١ [(3)].

---

[1] لي سترانج بالإنجليزية :GuyLe Strange(1854 – 1934 م)، هو مستشرق إنكليزي. تعلم العربية والفارسية، ودرس على يد يوليوس مول. تخصص بدراسة التاريخ الجغرافي لبلاد العرب وفارس، للمزيد راجع موقع https://books-library.net/free تاريخ الدخول 2022/6/13

[2] مصطفى جواد (1969-1904) لغوي ومؤرخ عراقي. ولد في بغداد. كان والده خيّاطًا عُمِي فنشأ ابنه فقيرًا محرومًا. تعلّم في بغداد والقاهرة ثمّ في جامعة السوربون في باريس. عمل مدرّسًا في مختلف مراحل التعليم، آخرها دار المعلّمين العالية. وكان عضوًا في المجمعين العربيين في دمشق وبغداد. توفّي في بغداد. يُعَد أحد علماء العربية البارزين في العراق والذين خدموا اللغة العربية وأسّسوا قواعدها. https://cockpal.arhibooks.radio.fm تاريخ الدخول 2022/6/13.

[3] إيلي الربضي، لويس ماسينيون، مرجع سابق، ص 4

المبحث الثالث منهجه في فهم التصوف:

تقدم حياة ماسينيون وأعماله مثلاً واضحاً ونموذجاً حياً في الدعوة إلى العولمة الروحية: والعولمة الروحية مصطلح جديد، ويعني بإيجاز دعوة جديدة و التواصل الروحي بين أديان العالم . وبهذا المفهوم تكون العولمة الروحية المأمولة مواجهة صوفية مستنيرة لتلك العولمة السياسية الشهيرة التي تسيطر عليها دوافع الاستغلال، وتدفع حضارة الإنسان اليوم دفعاً نحو مصير مجهول من الضياع والهلاك بتأثير قوى عالمية تحرض على الهيمنة الاقتصادية والسيطرة السياسية، تلك العولمة تفرق أكثر مما توحد، وتعزى بالخلاف والتقاطع أكثر مما تحرص على الوفاق والتواصل لكن العولمة الروحية، التي رأى ماسينيون مثلاً واضحا لحقيقتها، مشروع صوفي مقترح نحو حل الأزمة الأخلاقية للإنسان المعاصر . ولدي متصوفة المسلمين، كما لدى غيرهم من متصوفة العالم، في ذلك ما يقدمونه إلى البشرية من أجل بناء عالم جديد يقوم على مبدأ السلام الروحي بين الشعوب، والتعايش الأخلاقي العالمي بين الأمم ليصبح الشعار الروحاني اللعالم الجديد " يا متصوفة العالم اتحدوا ".[1]

لقد كان ماسينيون يؤمن أن التصوف هو قطرة التدين الأولى في عقائد البشرية المختلفة، باعتباره العمق الروحي لعقائد الإنسان أينما كان، وهذا العمق قد يتجاوز كل التناقضات الميتافيزيقية التي تختلف حولها الثقافات المتنوعة . ذلك أنه الممكن أن تشترك أفراد الإنسانية مهما اختلفت الأشكال والطقوس الطاهرة لتجاربها الروحية – في هذه الحقيقة الصوفية التي هي قطرة الإيمان في قلب الإنسان في شوقه المستمر وسعيه المتواصل

[1] إيلي الربضي، لويس ماسينيون، مرجع سابق، ص52

نحـو تحقيـق الاتصـال بينـه وبـين المقـدس، فمهمـة التصـوف عنـد ماسـينيون لا تقتصـر علـى الخلـوة والوحـدة أو التأمـل الفلسـفي للعلاقـات الوجوديـة بـين المطلـق والمحـدود، بـل علـى الصـوفي أن يعـد نفسـه للتضـحية فـي سـبيل الآخـرين. وقـد كـان ماسـينيون متصـوفا حقاً بهـذا المعنـى، يقـف بجانـب الضـعفاء وينتصـر للمظلـومين. وتصـوفه وثيـق الصـلة بدراسـاته وآلامـه الاجتماعيـة. أمـا رسـالته الثانيـة التـي لا تقـل أهميـة عـن الأولـى، فقـد تتبـع فيهـا نشـأة التصـوف منـذ البعثـة النبويـة إلـى الحـلاج، وأرجـع ماسـينيون أصـل التصـوف للبيئـة العربيـة الإسـلامية ، وأنــه مسـتمد مـن القـرآن الكـريم وسـنة الرسـول وحياتـه . وأثبـت خلـوه مـن التـأثيرات الأجنبيـة، بـل إن ماسـينيون اعتبـر النبـي أول متصـوف فـي الإسـلام ، وأن الاتجاهـات الصـوفية الباطنيـة ومنهـا التوحيـد كانـت ظـاهرة علـى النبـي منـذ بـدء رسـالته، كمـا يـرى ماسـينيون أن التصـوف يحتـوي علـى كـل القـيم الضـرورية للإسـلام، التـي تتجسـد فـي البنـاء المعرفـي والسـلوكي، فتمتـزج الـروح بالعمـل، ويصـل المتصـوف مـن خلالهـا إلـى الاتحـاد الروحـي والمطلـق مـع الله ، وصـولا إلـى درجـة الفنـاء فـي ذات الله ، أعلـى مراحـل التصـوف . ويعتقـد ماسـينيون أن وجـود المقـدس فـي حيـاة البشـر أمـر لا يمكـن إنكـاره ، بـل إنـه جـزء أصـيل فـي تكـوين الإنسـان ، فـانفتح بعمـق علـى الأبعـاد الروحيـة للإسـلام ، وفهمهـا فهمـا مترابطـا متوازنـا ، مـن خـلال التأمـل فـي الفكـر الصـوفي ، والبحـث عـن المشـتركات الفكريـة والروحية ، ساعيا لخلق وحدة روحية بين الاسلام والمسيحية[1].

يعـد كتـاب التصـوف مـن ابـرز الكتـب التـي ألفهـا ماسـينيون ومـن أهـم المراجـع العلميـة فـي مجـال التصـوف الإسـلامي وفيـه يمكـن فهـم منهجـه وفهمـه لمعنـى التصـوف ويفسـر ماسـينيون معنـى التصـوف فيقـول : " إن كلمـة التصـوف هـي المصـدر المصـوغ متصـوف"،

---

[1] إيلي الربضي، لويس ماسينيون، مرجع سابق، ص52، 54-55

للدلالــة علــى لــبس الصــوف، ومــن ثــم كــان المتجــرد لحيــاة الصــوفية فــي الإســلام صــوفياً، والصــوفية اســتخدمت كلفــظ فــي النصــف الثــاني مــن القــرن الثــامن مــيلادي، وتعنــي كلمــة صــوفي أي المتنسـك لابـس الصـوف، وقـد ظهـرت فـي الاسـكندرية وكانـت تـدل علـى مـذهب مـن مـذاهب التصـوف الإسـلامي يكـاد أن يكـون شـيعياً، فلقـد نشـأت فـي الكوفـة وكانـت أول أمرها في الكوفة [1].

ثـم عكـف علـى تبـاين أصـول التصـوف حيـث أكـد أن أصـول التصـوف والتفاسـير الصـوفية للقـرآن والأحاديـث الصـوفية عـن حيـاة النبـي محمـد، التـي لا نعلـم عنهـا الا القليـل متـأخرة فـي الـزمن بعـض الشـي ء حتـى ليشـك فيهـا، علـى أن النـزوع الـى التصـوف، ومـاخلا منـه قطـر مـن الاقطـار او امـة مـن الامـم، فـإن اسـتعدنا الاسـاطير المتـأخره فإننـا نجـد الجـاحظ وابـن الجـوزي قـد حفظـا لنـا اسـماء (أربعـين إسـماً) مـن الزهـاد فـي القـرنين الأولـين للهجـرة، وكـان فـي ابطانهم العبادات دلائل على تبنيه على الحياة الصوفية[2].

ويـتلخص هـذا المـنهج فـي: أولا : الاتجـاه إلــى الكشـف عمـا هـو جديـد مـن موضـوعات التصـوف الإسـلامي ومذاهبـه وشخصـياته ، وثانيـا : البحـث عمـا يكـون موجـوداً مـن علاقـات بـين التصـوف الإسـلامي وشخصـياته ومذاهبـه والتصـرف فـي الحضـارات والـديانات السـابقة علـى الإسـلام ، ثالثـا : تتبـع المصـطلحات الصـوفية فـي تطورهـا التـاريخي وإرجاعهـا إلـى أصـولها الإسـلامية أو إلـى أصـول أجنبيـة مـن الفلسـفات القديمـة إذا كانـت ترجـع إلـى مثـل هـذه الأصـول الأخيـرة ، رابعـاً : عـدم اللجـوء إلـى فـروض أو تخمينـات فـي البحـث لا دليـل

[1] لـويس ماسـينيون، مصـطفى عبـد الـرزاق، التصـوف، ترجمـة دائـرة المعـارف الإسـلامية إبـراهيم خورشـيد، دار الكتاب اللبناني مكتبة الدراسة، بيروت، ط1، 1984، ص 25،27.

[2] إيلي الربضي، لويس ماسينيون، مرجع سابق، ص 34

عليـه و عـدم التعجـل فـي بيـان فـرض مـن الفـروض ، خامسـا : الالتـزام بالموضـوعية فـي البحث والتي تتمثل في الاحكام دائما إلى النصوص.

ويناقش التفتـازاني[1] آراء ماسـينيون وأحكامـه فـي بعـض قضـايا التصـوف وأعـلام المتصـوفة فـي كتابـه (ابـن عطـاء الله السـكندري وتصـوفه)، فهـو يـذكر أن الشـاذلي[2]ومدرسـته مـع ناحيـة تصـوف الغزالـي[3]إلا أنهـم لـم يطعنـوا فـي الصـوفية القـائلين بالوحـدة والحلـول ، ولا الحـلاج الـذي يـذكر ماسـينيون أن الشـاذلي وابـن عطـاء وغيرهمـا مـن متـأخري الشـاذلية قـد أشـادوا بـذكره ، ويعلـق أن رأي ماسـينيون فـي هـذا الصـدد مسـتند إلـى بعـض روايـات الشـعراني والخفـاجي ويضـيف أنـه لـم يجـد فـي أقـوال الشـاذلي علـى اختلافهـا تمجيداً للحـلاج أو إشـادة بـذكره ، أمـا فيمـا يتعلـق بـابن عطـاء فلـم أجـد لـه إلـى الآن إلا استشـهادا بابيـات الحلاج في (الطائف المتن) [4].

---

1 لإمـام سـعد الـدين التَّفْتَـازَانِي (722 هـ – 792هـ)، عـالم مسـلم، وفقيـه مـتكلم، وأصـولي نحـوي، للمزيـد راجع https://ar.unionpedia.org/ تاريخ الدخول 2022/6/13

2 أبـو الحسـن علـي بـن عبـد الله بـن عبـد الجبـار الشـاذلي المغربـي، الزاهـد، الصـوفي إليـه تنتسـب الطريقـة الشـاذلية، سـكن الإسـكندرية، ولـد571 هــ بقبيلـة الأخمـاس الغماريـة، تفقـه وتصـوف فـي تـونس، تـوفي الشـاذلي بـوادي حميثـرة بصـحراء عيـذاب متوجهًا إلـى مكـة فـي أوائـل ذي القعـدة656 هـ. للمزيـد راجـع موقـع https://3rabica.org تاريخ الدخول 2022/6/13

3 أَبُـو حَامِـدْ مُحَمّـد الغَزّالِـي الطُوسِـيْ النَيْسَـابُوْرِيْ الصُـوْفِيْ الشَـافِعِي الأشْـعَرِيْ، أحـد أعـلام عصـره وأحـد أشـهر علمـاء المسـلمين فـي القـرن الخـامس الهجـري، كـان فقيهـاً وأصـولياً وفيلسـوفاً، وكـان صـوفيّ الطريقـةِ، شـافعيّ الفقـهِ إذ لـم يكـن للشـافعية فـي آخـر عصـره مثلَـه. وكـان علـى مـذهب الأشـاعرة فـي العقيـدة، وقـد عُـرف كأحـد مؤسسـي المدرسـة الأشـعرية فـي علـم الكـلام، للمزيـد راجـع موقع https://www.elbalad.news تاريخ الدخول 2022/6/13.

4 أحمد عبد الحليم عطية، الصوفي والسياسي صورة ماسينيون في الفكر العربي المعاصر، مرجع سابق، ص 94.

ثالثاً: الصوفية في المجتمع الإسلامي

هذا الجزء بيّن ماسينيون العلاقة بين الصوفية والمجتمع الإسلامي، حيث أكد أن المتصوفة الأوائل لم يتوقعوا أن يصطدموا بأول الأمر بالمجتمع الإسلامي، إذ كانوا قد جنحوا الى العزلة وآثروا الفقر لكي يقرأوا القران (تقرأ هو المرادف القديم لكلمة تصوف) بالتماس القربى من الله في الصلاة .

والواقع أن منشأ النزوع إلى التصوف هو ثورة الضمير على ما يصيب الناس من مظالم لا تقتصر على ما تصدر عن الآخرين، وإنما تنصب أولا – ومثل كل شيء ، ظلم الإنسان نفسه . وتقترن هذه الثورة برغبة في الكشف عن الله بأي وسيلة يقويها تصفية القلب من كل شاغل، وهذا الذي تلمسه في سيرة الحسن البصري[1] وفي غيره وعظاته، والمتصوفان الكبيران المحاسبي، والغزالي[2]

وكان الخوارج أول الفرق الإسلامية التي أظهرت عدوانها للصوفية، وهذا بادٍ فيما وقع للحسن البصري، ثم جاءت الإمامية (الزيدية والاثنا عشرية..) في القرن الثالث الهجري فأنكروا كل نزوع إلى التصوف لأنه يستحدث بين المؤمنين ضرباً من الحياة الشاذة (صوف ..)، تتمثل في طلب الرضا من غير توسل بالأئمة الاثني، تناقض ما جروا عليه من تقية[3].

---

[1] الحسن بن يسار البصري(21-110 هـ) إمام وقاضي ومحدّث من علماء التابعين ومن أكثر الشخصيات البارزة في عصر صدر الإسلام. سكن البصرة، وعظمت هيبته في القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم، للمزيد راجع موقع https://islamonline.net تاريخ الدخول 2022/6/13.

[2] لويس ماسينيون، مصطفى عبدالرزاق، التصوف، مرجع سابق، ص 32.

[3] إيلي الربضي، لويس ماسينيون، مرجع سابق، ص 35-36

وأبطأْ أهل السنة في مواقفهم، وأجمعوا على إنكار التصوف، ودحضه فريقان منهم، فابن حنبل يأخذ على التصوف انه يغذي التفكر ويصرف أصحابه عن مظاهر العبادة ويحملهم على طلب الخلوة، فيجدون حجة في إغفال الفرائض .. أما المعتزلة والظاهرية فيستنكرون العشق، لأنه يقوم من الناحية النظرية على التشبيه، ويقوم من الناحية العملية علي الملامة والحلول .. ولكن الواقع أن أهل السنة لم يقولوا بمروق المعتدلين من المتصوفة، فقد دأب أهل السنة على الاهتداء في معاملاتهم وعباداتهم بالرسائل المشهورة التي ألفها ابن أبي الدنيا[1] المتوفى عام (844 م) [2].

---

[1] لحافظ أبو بكر، عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي القرشي مولاهم من موالي بني أمية (208 –281 هـ) الملقب بـ ابن أبي الدنيا وقد طغى لقبه على اسمه حتى اشتهر به، ولد الحافظ أبو بكر في مدينة بغداد، في أوائل القرن الثالث الهجري وهو مؤرخ ومؤدب عربي، أدّب المعتضد العباسي وابنه المكتفي بالله، للمزيد راجع موقع https://anid.jacketdolly–avignon.fr تاريخ الدخول 2022/6/13.

[2] لويس ماسينيون، مصطفى عبد الرزاق، التصوف، مرجع سابق، ص 34.

المبحث الرابع: منهجه في تأويل نصوص الحلاج.

لا شك أن حياة المتصوف والشاعر الحسين بن منصور الحلاج (858- 922) ورؤيته الصوفية التي تجاوزت الخلافات العقائدية والمذهبية، وتوجهه في الإطار الكوني قدموا أجوبة روت ظمأ روح الباحث والمستشرق الفرنسي لويس ماسينيون القلقة، ووضعته على عتبة كشف معرفي دفعه إلى تأليف كتاب آلام الحلاج بالفرنسية الذي صدرت طبعته الأولى سنة 1922. ولم يضمّن ماسينيون الكتاب زبدة بحثه المنهجي عن حياة الحلاج وأعماله وأفكاره وصورة عصره وشخصياته وتياراته فحسب بل أيضاً نظرته الفلسفية الوجودية الشخصية والتي تقاطعت[1].

ويقول الأْستاذ والباحث أسامة إسبر[2] :" كان من أسباب تأثير الحلاج في ماسينيون مكابدته المعرفية وشهادته المأساوية وخطه المنحرف عن الإسلام الرسمي ونقله في تصوفه الإسلام من مستوى الخالق كأفق لوجود المخلوق إلى مستوى المخلوق أفقاً لتجلي الخالق وناطقاً بلسانه، بالإضافة إلى عمق تجربته الصوفيه وعمق تعبيره عنها شعرياً، ثم نهايته التراجيدية على يد السلطة، بعد أن جُلد بالسياط ألف جلدة، وقُطعت يداه ورجلاه، وضُربت عنقه وتم حرق جثته وعُلق رأسه على سور جسر وإلى جانبه يداه

---

[1]أسامة أسبر، آلام الحلاج" لماسينيون في العربية بعد تأخر دام قرنا، تاريخ النشر 10 تموز 2020، للمزيد راجع موقع https://www.jadaliyya.com . تاريخ الدخول 2022/6/10.

[2] أسامة إسبر أديب ومترجم سوري، (ولد عام 1963م) من أشهر ترجماته: رواية (أحلام آينشتاين) لآلن لايتمان، وترجمة أعمال الكاتب الأورغواني إدواردو غاليانو وأبرزها ثلاثيته الروائية (ذاكرة النار)، ورواية توقيعه على الأشياء كلها، للمزيد راجع موقع http://www.owlapps.net/owlapps_apps/articles تاريخ الدخول 2022/6/13

ورجلاه ثم أُحرقت جثته ودُفن ما تبقى منه في قبر في بغداد ليصبح من شهداء المعرفة ومن ضحايا الاستبداد، وصورة رمزية للمسيح المصلوب، كما لو أن السلطة حين قتلت الحلاج قتلت أيضاً حلول الله فيه كي تعيد كل شيء إلى حظيرة فقهها الرسمية. ".

وفيما خص منهج ماسينيون في تأويل نصوص الحلاج يقول :" بدافع من حس التناقض، انكببت على العمل، ليس على علم الآثار الذي نصحني به غاستون ماسبيرو[1] بل على دراسة نقدية عن استشهاد متصوف في القرن العاشر في بغداد، قيل عنه الكثير من الترهات، ولكنه في الحقيقة كان شخصية رائعة. وإن حكاية استشهاده صارخة جدًا، وذات نكهة مأساوية أسرتي. وأرى نفسي راغبًا في أن أجعله موضوعاً لأطروحة الدكتوراه[(2)].

أعاد ماسينيون في كتاب آلام الحلاج رسم صورة مجتمع الحسين بن منصور الحلاج بكافة تفاصيله ذاكراً الأشخاص والأفكار والأحداث والأمكنة بمخيلة الروائي والمؤرخ والباحث، ولم تكن هذه مهمة سهلة نظراً لصعوبة القيام بالأبحاث في ذلك الزمن، لكن لويس ماسينيون تخطى العقبات كلها وبرهن أنه لا شيء يقف أمام روح البحث، وأن المفكر الذي يروم التعمق في موضوع، بوسعه فعل ذلك، شرط أن يكون مؤمناً به، غير آبه بتعب أو أرق البحث والكشف. وتتوجت الرحلة المعرفية والبحثية التي استغرقت سنوات طويلة وأسفاراً كثيرة في تأليف لويس ماسينيون لهذا الكتاب المفصلي والذي شكل

---

[1] **جاستون كاميل شارل ماسبيرو** Gaston Maspero عالم فرنسي من أشهر علماء المصريات، للمزيد راجع موقع https://www.arageek.com تاريخ الدخول 2022/6/13.

[2] إيلي الربضي، لويس ماسينيون، مرجع سابق، ص 105

تأليفه تحولاً في تجربة المؤلف وفي تكوينه المعرفي، كما يشكل صدوره في العربية إغناء للثقافة، وللخط الذي يبحث فيه الكتاب[1].

لقد أعجب ماسينيون في شخصية الحلاج لدرجة كبيرة جداً حيث: "اختار الحلاج أن يموت ملعوناً، من أجل الجماعة الإسلامية، كضحية من أضاحي الحج، وهنا أيضاً نفهم أن الأمر ليس نوعًا من تعذيب الذات السادي، كما هو الحال عند الهنود في الأماكن التي يحجون إليها (خصوصًا في جبل آبو، حيث أبدى لي المفتي الحاج أمين الحسيني استفظاعه لهذا السلوك). إنما الأمر يتحدد بنفي ذاتي تامٍ، وبقاعدة لإماتة الروح كما حصل مع إبراهيم عندما قدم ابنه استجابة للوعد. إن الرغبة تفيض بصاحبها لحظة الشطح عندما يكون المحبوب متوحداً بذاته كليا، وبالخلاص من أعلى درجات التمثيل العقلي التي يقيمها الصوفي في لحظة الشطح، وحيث يقع إبليس في فخ من البلور، يصبح الله رغبة خالصة. وإن يكن الحلاج قد اختار الطريق الأبطأ والليل الأكثر حلكة في بحثه الورع عن الله[2].

يتوسع كتاب" آلام الحلاج شهيد التصوف الإسلامي" في الحديث عن معنى حياة وتعاليم الحلاج في القرن العاشر. وببصيرة روحية عميقة وتعاطف عابر للثقافات، يدرس ماسينيون التصوف الإسلامي بطريقة لم تكن معروفة سابقاً. ويلقي الضوء على الحياة الدينية والفلسفية والسياسية لبغداد والعراق وفارس في تلك الفترة، وعلى العالم الذي نشأ فيه الحلاج، وتأثيره وعلاقته مع القرامطة الذين تميزوا بفكرهم وثورتهم الاشتراكية، وإيمانه بأهمية الاختلاف في الرأي. كما يسلط الضوء على رحلته إلى كشمير وكابول

---

[1] أسامة أسبر، مقال آلام الحلاج" لماسينيون في العربية بعد تأخر دام قرنا، مرجع سابق .

[2] إيلي الربضي، لويس ماسينيون، مرجع سابق، ص 106.

فـي حـوالى سـنة 896م، وقـد كانـت كشـمير آنـذاك مركـزاً فكريـاً مهمـاً احتـك فيـه الهنـدوس والبوذيـون مـع شخصـيات فكريـة إسـلامية. ويتنـاول الجـزء الثـاني تـأثير الحـلاج فـي الإسـلام عبـر القـرون وتفاجئـك معرفـة ماسـينيون العميقـة بالتـاريخ الإسـلامي مـن ناحيـة العلاقـة مـع حقيقـة الحـلاج. وينـاقش تـأثير الحـلاج بـين السـنة والشـيعة واسـتمرار ميراثـه فـي منـاطق مختلفـة مـن العـالم الإسـلامي كـالعراق وفـارس وخراسـان والأراضـي الناطقـة بالتركيـة، وشـبه الجزيـرة العربيـة، والمغـرب والهنـد وجافـا حيـث لعبـت شـهادة الحـلاج دوراً فـي أسـلمة أرخبيـل ملايـو[1]. يلقـي الضـوء أيضـاً علـى موقـع الحـلاج فـي الأدب العربـي وخاصـة بـين المتصـوفين وخاصـة ابـن عربـي وأصـداء أقوالـه بـين فلاسـفة مثـل ابـن سـينا والسـهروردي وابـن رشد والطوسي[(2)].

وقـال ماسـينيون أيضـاً عـن الحـلاج: "لقـد تجـاوز النشـوة القصـوى، ليسـت نشـوة الحـواس فقـط، ولا نشـوة الـنفس، ولكـن أيضًـا نشـوة الـروح وفهـم ذلـك بسـيط إن تحقـق المشـيئة الإلهيـة لـيس مجـرد صـرخة (ابـن سـبعين) بـل اسـتيعاب كلـي يـوقظ النـائم، إنمـا هـو معقوليـة فعل ذهني يكشف سر الوحدانية.

وإذا كـان الـنفس الصـوفي مـدفوعًا هنـا إلـى أقصـاه، فـإن مسـائلة الإسـلام التقليـدي ليسـت أقـل وروداً، حيـث قـال (ماسـينون): "أذكـر بـأنني اقتربـت مـن الإسـلام ومـن دراسـة التصـوف الإسـلامي، وفـي جحـودي وتشـكيكي وعيشـي خلافًـا لمـا ينبغـي، صـفعتني كلمـة للحـلاج أثـارت بجمالهـا مفارقـة كبيـرة عنـدي: "فـي صـلاة الحـب، تكفـي ركعتـان، ولكـن

---

[1] أرخبيل الملايو(Malay Archipelago) أكبر ارخبيل في العالم من حيث المساحة، يحوي بحدود/ عشرين ألف/ جزيرة، ويقع بين جنوب شرق آسيا وأستراليا، للمزيد راجع موقع https://www.marefa.org تاريخ الدخول 2022/6/13.

[2] أسامة أسبر، مقال منشور، مرجع سابق.

الوضـوء الـذي يجعلهمـا مقبـولتين ينبغـي أن يكـون بالـدم، إنهـا مفارقـة ظاهريـة الـدم العـادي نجـس، خصوصًـا عنـد المسـلمين، حسـنًا، ولكـن دم الشـهيد... الشـهيد عنـد المسـلمين يـدفن كمـا هـو دون غسـل، الشـهيد لا يغسـل، فدمـه طـاهر، لأنــه دم الـروح". إن شــهادة الـدم لـدى المتصوفة ولدى السنة هي شهادة الحياة، حياة الروح[1].

يمكــن القــول إن كتــاب آلام الحـــلاج لماســـينيون وثّــق لشخصـــية مـــن أعمـــق الشخصـيات الصـوفية ولعصـرها، وقـدم صـورة مكتملـة لـه فتحـت البـاب أمـام البـاحثين لفهمـه وفهـم تياراتـه الفكريـة، كمـا أنـه قـدم فكـرة عـن العشـق الفكـري، والافتتـان المعرفـي بـالآخر، ذلـك أن ماسـينيون اكتشـف شـبهاً فـي شخصـيته وفـي أفكـاره مـع الحـلاج، وتقاطعـاً فـي القناعـات وفـي الخـروج مـن عبـاءة الانتمـاءات الدينيـة الضـيقة وتوسـيع الأفـق الإنسـاني الكـوني المتجـاوز للحـدود الثقافيـة، وكـان لتعميـق هـذا الاكتشـاف مـن خـلال البحـث الـدؤوب والمضـني والأسـفار المتلاحقـة، دور فـي صـقل رؤيـة لـويس ماسـينيون ومنحهـا أفقـاً أوسـع لاكتشـاف الآخـر وتقديمـه فـي صـورة معرفيـة شـاملة ودقيقـة لـم تقـع فـي مصـيدة التخنـدق فـي أنا مركزية أوربية متعالية لا ترى في الآخر إلا ما تريد أن تلبسه له .

[1] إيلي الربضي، لويس ماسينيون، مرجع سابق، ص 106

خاتمة عامة وتوصيات.

أولاً -: الحقيقة أن للإستشراق – شئنا أم أبينا – متداخل مع بناء الدولة الحديثة في الغرب، ومتشابك مع توجهات المجتمع المدني فيه، إنه " مؤسسة عامة " للتعامل مع الشرق – بكلمات ادوارد سعيد -:" بدأ الاستشراق فرديًا، ثم شعبيًا إلى أن صار مؤسسة تابعة للدولة، بل وغدا ملحقاً بالمخابرات وفي كل الحالات فإن الاستشراق بصفة. المدعاة عِلمًا يضم استعلاء غربياً.

ثانياً-: يعد الاستشراق من دوائر الغرب المتقدمة داخل العالم العربي الإسلامي ومؤسسة ذات أهمية إستراتيجية، ومدرسة بحث قائمة متميزة عن غيرها من مدارس البحث – فالإضافة على مهامها العلمية. لا زالت تزود الغرب بما يدور في العالم الإسلامي.

ثالثاً-: كان المستشرقين تأثير كبير في التوجهات الثقافية التي سجلت على مستوى الفكر و الأدب ونقده في الثقافة العربية و ذلك بما تميزوا به من آراء، فقد حاولوا تطبيق ما توصلت إليه النظريات العلمية عامة كنظريات الأدب المختلفة و منهج علمي لم يستدعه المستشرقون ابتداعا بل هو منهج، وقد كانت لهم أراء خاصة هم توصلوا إليها بعملهم و اجتهادهم على مستوى الأدب العربي خاصة كما تميزوا بالعمل الدؤوب، و الجهد المتواصل و الحرص على الدرس.

رابعاً-: لقد كانت أهداف المستشرقين مختلفة ومتباينة، ولقد كان هذا التناقض يختفي بينهم تحت واجهة الطابع العلمي وهذا الطابع الذي لم يخفي نزعة الشك والتحامل على الكثير من صفحات التاريخ الإسلامي وبأسلوب يصل إلى حد الكشف الواضح عن نفسه

، وقد تنبه إلى ذلك التحامل عدد من مفكري الغرب أنفسهم قبل أن ينتبه إليه مفكري العرب.

خامساً-: لقد استأثر التاريخ الإسلامي العالم العربي اهتمام المستشرقين الذين أولوه عناية خاصة، و حاولوا وبجهد كبير تطوير حقل الدراسات التاريخية و ابتكار أساليب منهجية جديدة و طرحوا نظريات عديدة كانت نتيجة لتأثرهم البالغ بالنظريات الاجتماعية.

سادساً-: لقد غال بعضهم في إظهار ميوله المعادي للعرب والمسلمين (لمحاولة إستثمارهم ظاهرة التقسيمات الأنثروبولوجية[1] بين الشرق والغرب أو بين الشمال والجنوب، أو بين الدول المتقدمة مما أعطاهم الحق في الإستيلاء عليها(الدول المتخلفة أو المتأخرة)، مبررين الإستعمار.

ولكن الحق بأن مناهج المستشرقين في البحث هي مناهج تتميز بالجد والدأب على البحث والتعمق والتحليل، والإستقراء والإستنتاج والوصول إلى الحكم العام بعد عرض طائفة من الفرديات التي تتشابه ف يمجموعة من الخصائص تجعلها صالحة لأن تتدرج تحت حكم واحد، إضافة إلى الإنجازات الكبيرة التي قدمها المستشرقون والتي أسهمت في إغناء الثقافة بشكل كبير ومتنوع ومنها المصنفات الكثيرة التي عملوا عليها.

---

[1] الأنثروبولوجيا هو مُصطلح مُشتق من كلمتين يونانيتين هما: أنثروبوس وتعني الإنسان، ولوغوس، وتعني الدراسة، وبذلك يكون معنى الأنثروبولوجيا هو دراسة الإنسان، أو علم الإنسان، ويدرس هذا العلم البشر بماضيهم وحاضرهم ليفهم الكيانات الهائلة والمعقدة من الثقافات عبر التاريخ، وتُبنى الأنثروبولوجيا، وتتحرك على القواعد المعرفية التي تقوم عليها العلوم البيولوجية والاجتماعية، للمزيد راجع موقع https://mawdoo3.com/ تاريخ الدخول 2022/6/13.

وقد أعان المتستشرقين على كل ذلك، وقوعهم على كنوز من التراث العربي والإسلامي وذخائر فكره ما لم يقع عليه أهله.

سابعاً-: إن تناول شخصية المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون الذي شكل منعطفاً فارق في الإستشراق، بيّنت لنا أهمية هذا المستشرق في مختلف الدراسات وكل ما يتعلق بالتراث الإسلامي.

ثامناً- : لقد تأثر ماسينيون بالدراسات الإسلامية وحاول أن يقارب بين المسيحية والإسلام من خلال قضية البعث (أهل الكهف) والقيامة (المسيح)، وقضية الحلاج التي ضحت بنفسه مصلوباً من أجل الأمة، ومقاربته لقضية عيسى عليه السلام، وشخصية فاطمة الزهراء ومريم العذراء، كما تطرق لقضية الزهد والتصوف ومقارنتها مع الرهبانية، وقد أعجب باللغة العربية وإعتبرها اللغة الأم والملهمة ولا يجوز النيل من مقامها...

وقد تأثر أشد التأثر في الحلاج ومكابدته المعرفية وشهادته المأساوية وخطه المنحرف عن الإسلام الرسمي ونقله في تصوفه الإسلام من مستوى الخالق كأفق لوجود المخلوق إلى مستوى المخلوق أفقاً لتجلي الخالق وناطقاً بلسانه، بالإضافة إلى عمق تجربته الصوفيه وعمق تعبيره عنها شعرياً، ثم نهايته التراجيدية على يد السلطة، بعد أن جُلد بالسياط ألف جلدة، وقُطعت يداه ورجلاه، وضُربت عنقه وتم حرق جثته وعُلق رأسه على سور جسر وإلى جانبه يداه ورجلاه ثم أُحرقت جثته ودُفن ما تبقى منه في قبر في بغداد ليصبح من شهداء المعرفة ومن ضحايا الاستبداد، وصورة رمزية للمسيح المصلوب، كما لو أن السلطة حين قتلت الحلاج قتلت أيضاً حلول الله فيه كي تعيد كل شيء إلى حظيرة فقهها الرسمية.

لقد غالَ لويس ماسينيون في نصرته للحلاج، وفي نظرته للتصوف الإسلامي،وقد تلقى مجموعة من الإنتقادات حول ذلك، كما أن الأدوار التي لعبها في واقع الحياة السياسية لبلده، ودفاعه عن الإستعمار بشكل مقنع في أبحاثه ومحاضرتها، لا تجسد شخصيته الذي يحب أن يُوصف بها.

إن التناقضات النـي إجتمعت في شخصية لويس ماسينيون تطرح علينا، مجموعة من الأسئلة التي يجب مناقشتها بشكل أوسع، وذلك في حال القدرة في الحصول على مؤلفاتها الأصلية، والعمل على تفسيرها وترجمتها، بمساعدة أهل الإختصاص للوقوف على شخصية هذا العالم الذي كان يعمل دائماً للوصول إلى الهدف المنشود، دون كلل أو ملل.

ولكن ينبغي الإعتراف أنّ المدرسة الفرنسية لها مميزات يمكن اختصارها كالآتي:

- تعدد موضوعات البحث البحث الدراسية، ماضيا وحاضرا ومستقبلا
- ارتباطه بالاستعمار والتبشير، ويعتبر الاستشراق الفرنسي دعامة من دعائم الاستعمار من اجل خدمة المصالح السياسية والاقتصادية والدينية.
- الاهتمام بالببليوغرافية (فهرسة ونشر وتحليل الآثار القلمية الكلاسيكية سواء كانت عربية او فارسية او تركية).

إن العرب هم أعلم الناس في المناهج العلمية المطبقة على السيرة النبي صلى الله عليه وسلم، (العرب القدماء) أكثر منهجية وعلمية من المستشرقين المعاصرين المسلحين برؤيتهم الاستشرافية، وجاء في مقدمة موسوعة بيان الإسلام بمضمونها عن شبهات حياة النبي صلى الله عليه وسلم وهي كالتالي :" لا نعلم رجلا في التاريخ منذ ان خلق الله تعالى آدم عليه السلام الى هذا اليوم، قد نقلت تفاصيل حياته ودقائق تصرفاته

كما نقلت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك لا نعلم سيرة رجل قد نقحت وحققت ومحصت كما فعل بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم" [1] .

ان كان الاستشراق قد اتهم ثقافتنا بأنها حالة من حالات النمو الموقوف، فان هذه الثقافة، رغبة منها في الرد على هذا الاتهام، فقد سارت في طريق النمو المتسارع، الذي يحرق كثيراً من المراحل قبل المرور فيها، وعليه لا يجب علينا ان ندافع عن عيوبنا التي اتهمنا بها الاستشراق، فهذا يعني اننا مقتنعين بهذه العيوب، ولكن علينا التحقق والعودة إلى مصادر هذه الاتهامات التي كان معظمها مدسوس حتى في الاخذ عن الصفحات ومصادر الاسانيد فهناك إشارات إلى صفحات وهمية او إلى صفحات لا يوجد فيها الاتهامات التي طرحها المستشرقون [2].

---

[1] داليا محمد ابراهيم، موسوعة بيان الإسلام، الرد على الافتراءات والشهادات، القسم الثاني، المجلد الأول، ج١، دار النهضة مصر للنشر، ط١، ٢٠١٢، ص ١٧.

[2] نقد الاستشراق وازمة الثقافة العربية المعاصرة، فؤاد زكريا، مؤسسة هنداوي سي اي سي، ٢٠١٧.

قائمة المصادر والمراجع:

1- القرآن الكريم

2- الأحاديث النبوية

3- الكتاب المقدس

أولاً – المصادر

1- ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار النوادر، دمشق – سوريا ط/1، 1429 هـ - 2008 م.

2- ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان، المتوفى: 681هـ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس دار صادر – بيرو، دون تاريخ نشر.

3- ابن شاكر: محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر، الملقب بصلاح الدين المتوفى: 764هـ، فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت دون تاريخ نشر.

4- ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.

5- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير ابن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، ط1، - 1419 هـ.

6- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر: السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، 1976.

7- أبو المجد، سيدنوفل، مذكرة عن الاستشراق، الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة، دون تاريخ نشر.

8- انو ليتمان، **اسماء الأعلام في اللغات السامية**، مطبعة جامعة فؤاد الأول، ج٢، مصر، ١٩٤٩.

9- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي المتوفى:256هـ، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي الطبعة: الأولى، 1422هـ.

10- ابن هشام بن أيوب، عبد الملك، **مختصر سيرة ابن هشام، السيرة النبوية**، المجلد الثاني، الطبعة الأولى، مدار الوطن للمعرفة، السعودية، 1438هـ -2017.

11- حميش سالم، الاستشراق في أفق السدادة، منشورات المجلس القومي الثقافي العربي، الرباط، 1991.

12- الذهبي، محمد حسين ، التفسير والمفسرون، مكتبة مصعب بن عمير الإسلامية، ج١،٢٠٠٤ .

13- الزرقاوي، محمد عبد العزيز، مناهل المعارف: في علوم القرآن، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، بيروت، 1995.

14- السبوطي، عبدالرحمن جلال الدين المزهر، في علوم اللغة وأنواعها، شرحه وضبطه وصححه وعنونه موضوعاته وعلق على حواشيه: محمد أحمد جاد المولى، علي محمد البحاوي، محمد ابو فضل إبراهيم، دار الجيل، ج١، بيروت، دون تاريخ نشر.

15- محمد بن محمد ابو شهبة، السيرة النبوية في ضوء الكتاب والسنة، دار القلم، الطبعة الثانية، بيروت، 1992.

16- المعجم الوسيط، مطابع الدار الهندسية، مجمع اللغة العربية، الجزء الأول، ١٩٨٥.

ثانياً-لائحة بالمراجع العربية:

1- إدريس، محمد جلال ، **الاستشراق الإسرائيلي في الدراسات العبرية المعاصرة**، مكتبة الأدب، طبعة أولى، القاهرة، 2003

2- الإسكندري، أحمد وزملاؤه، المفصل في تاريخ الأدب العربي، الطبعة الأولى، مكتبة الأدب – مصر ، 2005م.

3- آل حميد سعد، **اهداف الاستشراق ووسائله**، جامعة الملك سعود، كلية التربية – قسم الثقافة الإسلامية، السعودية، دون تاريخ نشر.

4- إيلي الربضي، **لويس ماسينيون**، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى،2019.

5- بدوي عبدالرحمن ، **موسوعة المستشرقين1917-2002**، دار العلم للملايين، بيروت، 1984.

6- بن نبي، مالك، **إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث**، دار الارشاد، بيروت، دون تاريخ نشر

7- الجابري محمد عابد، نحن والتراث: قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، المركز الثقافي العربي، الطبعة السادسة بيروت، ١٩٩٣.

8- الجابري، محمد عابد وآخرون، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الاسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ج١، تونس، ١٩٨٥.

9- جب، هاملتون: دراسة في حضارة الإسلام، دار العلم للملايين – بيروت، ط2، 1974م.

10- الحاج سالم الساسي، نقد الخطاب الاستشراقي، دار المدارس الإسلامية، الجزء الأول، الطبعة الأولى، ليبيا – بنغازي، 2002.

11- داليا محمد ابراهيم، موسوعة بيان الإسلام، الرد على الافتراءات والشهادات، القسم الثاني، المجلد الأول، ج١، دار النهضة مصر للنشر، ط١، ٢٠١٢.

12- درويش أحمد، الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، دار الغريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2004.

13- زكريا فؤاد، نقد الاستشراق وازمة الثقافة العربية المعاصرة، مؤسسة هنداوي سي اي سي، ٢٠١٧.

14- ساسي الحاج، الظاهرة الاستشرافية وأثرها على الدارسات الإسلامية، مركز الدراسات الإسلامية – مالطا، الطبعة الأولى، 1991.
15- سعدون محمود الساموك، الاستشراق الروسي، دار المناهج، عمان،2003.
16- سمايلوفتش احمد، فلسفة الاستشراق وأثرها في الادب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨.
17- صبرة، عفاف: المستشرقون ومشكلات الحضارة، دار النهضة العربية – القاهرة، 1980م.
18- العاني، عبد القهار: الاستشراق والدراسات الإسلامية، مطبعة العاني، بغداد، 1973.
19- عبدالحميد عرفان، المستشرقون والإسلام، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1969.
20- عبدالرحمن البدوي، دفاع عن محمد صل الله عليه وسلم ضد المنتقصين من قدره، ترجمة: كمال جاد الله، الدار العالمية للكتاب والنشر، دون تاريخ نشر.
21- عبدالواحد عبد القهار، الاستشراق والدراسات الإسلامية، دار الفرقان، عمان،2000.
22- علي بدر، ماسينيون في بغداد من الإهتداء الصوفي إلى الهداية الكولونية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، بيروت، دون تاريخ نشر.
23- عوض إبراهيم، دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية أضاليل وأباطيل، مكتبة البلد الأمين خلف الجامع الأزهر، الطبعة الأولى، 1419 هـ – 1998.
24- فاروق عمر فوزي ، الاستشراق والتاريخ الإسلامي، الأهلية للنشر، الطبعة الأولى، عمان ، 1998 .
25- محمد اسماعيل، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، حقوق الطبعة محفوظة للمؤلف، الطبعة الأولى، 1998
26- محمد البشير، مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، 2002.
27- مغلي، محمد البشير، مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب مركز الملك فيصل، الطبعة الأولى، الرياض، ،1422هـ–2002م.
28- المقداد محمود ، تاريخ الدراسات الغربية في فرنسا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت،1978.
29- المنجد صلاح الدين، المستشرقون الألمان : تراجمهم وما اسهموا به في الدراسات العربية، دار الكتاب الجديد، الجزء الأول، بيروت، ١٩٧٨.
30- يفوت، سالم، حفريات الاستشراق : في نقد العقل الاستشرافي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط١، ١٩٨٩.

ثالثاً- المراجع العربية المترجمة:

1- ادوار سعيد، الاستشراق :**المفاهيم الغربية للشرق**، ترجمة محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ، الطبعة الأولى القاهرة، 2006.

2- اسبينوزا، **رسالة اللاهوت والسياسة**، ترجمة حسن حنفي، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2005.

3- ايتين دينيه، بن ابراهيم سليمان، **محمد رسول الله**، ترجمة محمد عبدالحليم، دار المعارف، القاهرة،١٩٨٦.

4- بلاشير، "**القرآن**"، ترجمة رضا سعادة، دار الكتاب اللبناني، طبعة أولى، بيروت، 1974.

5- بنداق، محمد صالح ، **المستشرقون وترجمة القرآن الكريم**، منشورات دار الافاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٨٣.

6- بول ريكو، **عن الترجمة**، ترجمة : حسين حمري، منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى، الجزائر، ٢٠٠٨.

7- جان سوفاجيه، كلود كاين، مصادر دراسة التاريخ الإسلامي: دليل ببليوغرافي، ترجمة عبدالستار الحلوجي، عبدالوهاب علوب، المجلس الأعلى للثقافة،1998.

8- جرونباوم، جوستاف: حضارة الإسلام، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب -1994م.

9- جودا، بير، الرحلة الى الشرق، ترجمة مي عبدالكريم وعلي بدر، الاهالي للطباعة والنشر والتوزيع، ط١ ، دمشق، ٢٠٠٠.

10- جوزيف شاخت، وكليفورد يوزوث، تراث الإسلام، ترجمة محمد زهير السمهوري، حسين مؤنس وآخرون، ج١، 1978

11- زيجريد هونكه، الله ليس كذلك، ترجمة غريب محمد عريب، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥.

12- زيهر، غولد: العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة: يوسف موسى، طبعة مصر- 1948م.

13- صديقي مظهر، محمد ياسين، الهجمات المغرضة على التاريخ الاسلامي، ترجمة سمير عبدالحميد إبراهيم، قسم الدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية، الهند، 1988.

14- فوك بوهان ، تاريخ حركة الاستشراق، الدراسات العربية والاسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين، ترجمة عمر لطفي العالم، جامعة الكويت، الطبعة الثانية، دار الكتب الوطنية، بنغازي – ليبيا، 2001.

15- فولفد يتريش فيشر، الاساس في فقه اللغة العربية، ترجمة سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢.
16- الفيومي محمد ابراهيم، الاستشراق رسالة استعمار، دار الفكر العربي، القاهرة، 1992.
17- قباني رنا، اساطير اوروبا عن الشرق، ترجمة صباح قباني، دار طلاس للدارسات والترجمة والنشر، الطبعة الثالثة، دمشق، 1993.
18- كلارك، جي، التنوير الآتي من الشرق، ترجمة شوقي جلال، عالم المعرفة، الكويت، 2007.
19- لويس ماسينيون - مصطفي عبدالرزاق، التصوف، ترجمة دائرة المعارف الإسلامية :" إبراهيم خورشيد، عبدالحميد يونس، حسن عثمان"، دار الكتاب اللبناني – مكتبة المدرسة، لبنان – بيروت، الطبعة الأولى، 1984.

رابعاً- الأطاريح والرسائل الجامعية

1- بن حدو سعاد، قيطون نعيمة، **الاستشراق وأثره في الحضارة العربية الإسلامية**، رسالة ماجستير في اللغة والأدب العربي(2012-2011) إشراف الأستاذ محمد ملياني، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، الجمهورية الجزائرية.
2- محمد فتح الله، الترجمات الاستشراقية للقرآن الكريم، أطروحة دكتوراه للشهادات الاستشراقية إشراف الأستاذ الدكتور باقي محمد، وزارة التعليم والبحث العلمي، الجزائر، غير منشور.

خامساً- الدوريات

1- أحمد عبدالحليم عطية، الصوفي والسياسي صورة ماسينيون في الفكر العربي المعاصر، ندوة المركز الفرنسي لصداقة والتعاون مع آداب القاهرة، قلب الشرق، 1999.

2- أحمد عبدالحليم عطية، مقال منشور في مجلة الدراسات الإسلامية، الصوفي والسياسي صورة ماسينيون في الفكر العربي المعاصر، عدد /2021/24.

3- بن عيسى التيجني، " **ترجمة بين الرفض والقبول**"، مجلة المترجم، العدد ٣، أكتوبر - ديسمبر ٢٠٠١، دار الغرب للنشر والتوزيع، جامعة زهران، الجزائر.

4- الرحاني، محمد بن سعيد، **الأثر الاستشرافي في موقف محمد أركون من القرآن الكريم، ندوة القرآن الكريم في الدارسات الاستشرافية،** مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة، السعودية.

5- رشيدي، محمود حجاج ، مناهج المستشرقين الألمان في ترجمة معاني القرآن الكريم، في ندوة :القرآن في الدراسات الاستشرافية، ٢٠٠٦/٧/١١، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

6- الزعبي، امجد، الاستشراق والتغلغل الألماني في الدولة العثمانية، دراسة في وظائف وأدوار الاستشراق الألماني في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد ٤٦، عدد١، ملحق ٢، ٢٠١٩.

7- سعد آل حميد، أهداف الاستشراق ووسائله، بحث مقدم لقسم الثقافة الإسلامية – كلية التربية- جامعة الملك سعود،1424هـ

8- عبدالرزاق الأصفر المستشرق لويس ماسينون ما له وما عليه مجلة التراث العربي-مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب-دمشق العدد84-83

9- عبدالله، إبراهيم عبدالكريم ، آراء المستشرق ريجيس بلاشير في الوحي المكي والمدني ، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف الدكتور محمد زين الدين العابدين الطشو، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كلية الدعوة بالمدينة المنورة – قسم الاستشراق، المملكة العربية السعودية، 1414هـ .

10- عثمان عفيف ، موقف لويس ماسينيون من الإسلام، معهد المعارف الحكمية، مقال منشور في موقع معهد المعارف الحكمية، تاريخ الدخول:٧ – ٩-2021

11- غراب، أحمد: رؤية إسلامية للاستشراق، المنتدى الإسلامي، ط2، 1411هـ.

12- فليتش أندرياس، سحر الشرق وحاضر اسطورة اوروبية، ترجمة رشيد بو طيب، مجلة فكر وفن.
13- محمد بن سعيد بن عبد الله السرحاني، الموقف الاستشرافي من خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه وأثرها في ظهور الشيعة دراسة تحليلية، مجلة جامعة ام القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، عدد ٥٤، محرم ١٤٣٣ هجري.

سادساً- المراجع الالكترونية

1- أسامة أسبر، آلام الحلاج" لماسينيون في العربية بعد تأخر دام قرنا، تاريخ النشر 10 تموز 2020، عن شبكة العنكبوت https://www.jadaliyya.com .
2- الدعفيس محمد ، ماسينيون المستشرق المتصوف، مقال منشور في مجلة الوطن السعودي موقع .alwatan.com عدد 6 مايو 2020،.
3- كلير سندل، مصادر الإسلام www.Muhammadanism.org.
4- نزار التميمي، مقال " قراءة تاريخية في فكر المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون ، مركز النور للدرسات،2016، عن موقع المركز www.alnoor.se.
5- موقع www.alnoor.se..